فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

المنار

أنشئ ١٣١٥

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى و«منارا» كمنار الطريق

المحرم سنة ١٣٥٠ هـ الجوزاء سنة ١٣١٠ هـ ش يونيه سنة ١٩٣١

تفسير القرآن الحكيم

(١١٣) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٤) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٥) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٦) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

تقدم في الآية الثمانين من هذه السورة ان الله تعالى لا يغفر للمنافقين لأنهم كفروا بالله ورسوله الخ، فاستغفار الرسول لهم وعدمه سيان. وتقدم في سورة النساء (إن الله لا يغفر أن يشرك به (٤: ٤٨ و ١١٦) وقد شرع الله للمؤمنين في أوائل سورة الممتحنة التأسي بابراهيم ﷺ والذين آمنوا معه في البراءة من قومهم المشركين ومن معبوداتهم واستثنى من هذه الأسوة استغفار ابراهيم ﷺ لأبيه فقال (إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) وقد نزل بعد ذلك كله قوله تعالى هنا

﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ هذا نفي بمعنى النهي، فهو أبلغ من النهي المجرد، وهذا التعبير فيه يسمى نفي الشأن، وهو أبلغ من نفي الشيء نفسه، لأنه نفي معلل بالسبب المقتضي له. والمعنى ما كان من شأن النبي ولا مما يصح أن يصدر عنه من حيث هو نبي — ولا من شأن المؤمنين ولا مما يجوز أن يقع منهم – من حيث هم مؤمنون – أن يدعوا الله طالبين منه المغفرة للمشركين ﴿ ولو كانوا أولي قربى ﴾ فإن حق القرابة الأصلي حق البر وصلة الرحم، وكانت عاطفة القرابة تقتضي الغيرة عليهم وحب المغفرة لهم، ولو هذه تفيد الغاية لمعطوف عليه محذوف حذفا مطردا للعلم به، والمراد أنه ليس مما تبيحه النبوة ولا الايمان ولا مما يصح وقوعه من أهلهما: الاستغفار للمشركين في حال من الاحوال، حتى لو كانوا أولي قربى، فان لم يكونوا كذلك فعدم جوازه أولى. ثم قيد الحكم بقوله تعالى

﴿ من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ أي من بعد ما ظهر لهم بالدليل أنهم من أهل النار الخالدين فيها بأن ماتوا على شركهم وكفرهم ولو بحسب الظاهر كاستصحاب حالة الكفر الى الموت، أو نزل وحي يسجل عليهم ذلك كاخباره تعالى عن أناس من الجاحدين المعاندين أنهم طبع على قلوبهم وختم عليها وقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) ومثله في المنافقين (سواء عليهم أستغفرت لهم) الخ وقد ورد في الصحيحين وغيرهما ان هذه الآية نزلت في أبي طالب، اذ دعاه ﷺ عند ما حضره الموت الى قول

(لا إله إلا الله) فامتنع وأبو طالب مات بمكة قبل الهجرة، فهل نزلت الآية عقب موته ثم ألحقت بهذه السورة المدنية لمناسبتها لاحكامها، أم نزلت مع غيرها من براءة مبينة لحكم استغفار الرسول (ص) له ؟ وروي من طرق انها نزلت حين زار (ص) قبر أمه واستغفر لها (١) والله أعلم. والآية نص في تحريم الدعاء لمن مات على كفره بالمغفرة والرحمة وكذا وصفه بذلك كقولهم المغفور له المرحوم فلان، كما يفعله بعض المسلمين الجغرافيين الآن، لعدم تحققهم بمقتضى الايمان، وتقيدهم بأحكام الاسلام، ومنهم المعممون والحاملون لدرجة العالمية من الازهر المعمور

أخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وغيرهم من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة فقال « أي عم : قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم : على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ « والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

هذا لفظ البخاري في تفسير الآية الاخيرة من سورة القصص وأخرجه في تفسير آية براءة وفي الجنائز أيضا.

قال الحافظ في شرحه للحديث: ووقع في رواية مجاهد قال: يا ابن أخي ملة الاشياخ. ووقع في حديث أبي حازم عند مسلم والترمذي والطبري قال: لولا ان تعيرني بها قريش يقولون ما حمله على ذلك إلا جزع الموت لأقررت بها عينك. ثم قال الحافظ وروى الطبري من طريق شبل عن عمرو بن دينار قال قال النبي ﷺ « استغفر

(١) راجع هذا البحث في تفسير (٦ : ٣٥ واذ قال ابراهيم لابيه آزر) ص ٥٣٧ـ ٥٥٣ ج ٧ تفسير

إبراهيم لابيه وهو مشرك فلا ازال أستغفر لابي طالب حتى ينهاني عنه ربي «فقال أصحابه لنستغفرن لآبائنا كما استغفر نبينا لعمه » فنزلت

(قال) وهذا فيه إشكال لان وفاة أبي طالب كانت بمكة قبل الهجرة اتفاقاً، وقد ثبت ان النبي ﷺ أتى قبر امه لما اعتمر فاستأذن ربه ان يستغفر لها فنزلت هذه الآية . والاصل عدم تكرار النزول وقد أخرج الحاكم وابن أبي حاتم من طريق أيوب بن هانيء عن مسروق عن ابن مسعود قال خرج رسول الله ﷺ يوما إلى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه فقال «ان القبر الذي جلست عنده قبر امي واني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل علي (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)» وأخرج أحمد من حديث ابن بريدة عن ابيه نحوه ، وفيه نزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب ولم يذكر نزول الآية وفي رواية الطبري من هذا الوجه لما قدم مكة أتى رسم قبر ومن طريق فضيل بن مرزوق عن عطية لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها، فنزلت . وللطبراني من طريق عبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس نحو حديث ابن مسعود وفيه : لما هبط من ثنية عسفان . وفيه نزول الآية في ذلك — فهذه طرق يعضد بعضها بعضاً وفيها دلالة على تأخير نزول الآية عن وفاة ابي طالب ويؤيده ايضا انه ﷺ قال يوم احد بعد ان شج وجهه «رب اغفر لقومي فانهم لايعلمون» لكن يحتمل في هذا أن يكون الاستغفار خاصاً بالاحياء وليس البحث فيه . ويحتمل أن يكون نزول الآية تأخر وان كان سببها تقدم ويكون لنزولها سببان متقدم وهو امر أبي طالب ومتأخر وهو امر آمنة، ويؤيد تأخير النزول ماتقدم في تفسير براءة من استغفاره ﷺ للمنافقين حتى نزل النهي عن ذلك، فان ذلك يقتضي تأخير النزول وان تقدم السبب ، ويشير الى ذلك أيضا قوله في حديث الباب «وأنزل الله في أبي طالب (انك لاتهدي من أحببت)» لانه يشعر بأن الآية الاولى نزلت في ابي طالب وفي غيره ،والثانية نزلت فيه وحده ،ويؤيد تعدد السبب ما أخرج أحمد من طريق أبي اسحاق عن ابي الخليل عن علي قال سمعت رجلا يستغفر

لوالديه وهما مشركان فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله (ما كان للنبي) الآية
وروى الطبري من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد قال قال المؤمنون ألا نستغفر
لآبائنا كما استغفر ابراهيم لابيه ؟ فنزلت . ومن طريق قتادة قال ذكرنا له ان
رجالا فذكر نحوه . وفي الحديث ان من لم يعمل خيراً قط اذا ختم عمره بشهادة
أن لا إله الا الله حكم باسلامه ، وأجريت عليه احكام المسلمين ، فان قارن نطق
لسانه عقد قلبه نفعه ذلك عند الله تعالى بشرط أن لا يكون وصل الى حد انقطاع
الامل من الحياة وعجز عن فهم الخطاب ، ورد الجواب ، وهو وقت المعاينة ، واليه
الاشارة بقوله تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
أحدهم الموت قال اني تبت الآن) والله أعلم اه كلام الحافظ وقد تعددت الروايات
في استغفار بعض الصحابة لآبائهم وأولي قرباهم من المشركين تأسيا به ﷺ
حين استغفر لعمه حتى نزل النهي فكفوا

﴿ وما كان استغفار ابراهيم لأبيه ﴾ مما يدخل في عموم تأسيكم به ، فانه

فانه ما كان وما وقع لسبب ولا علة ﴿ إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾ في حياته
إذ كان يرجو ايمانه فقال له (٦٠:٤ لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء)
أي لا أملك لك هداية ولا نجاة وانما أملك دعاء الله تعالى . وقد وفى بوعده وما
كان إلا وفياً كما شهد له تعالى بقوله (وابراهيم الذي وفّى) فكان من دعائه
(٢٦ :٨٦ واغفر لابي انه كان من الضالين ٨٧ ولا تخزني يوم يبعثون ٨٨ يوم
لا ينفع مال ولا بنون ٨٩ إلا من أتى الله بقلب سليم)

ورد أنه يعد من الخزي له يوم القيامة أن يكون أبوه في النار كما رواه البخاري
من حديث رؤيته في النار أنه يقول « يارب انك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ،
فأيّ خزي أخزى من أبي الأبعد » فيمسخ الله أباه ذيخا - وهو ذكر الضباع الكثير
الشعر - حتى لا يخزى ابراهيم ابنه برؤيته في النار على صورته المعروفة له ولقومه . وقد
تقدم لفظ الحديث في قصة ابراهيم مع أبيه من تفسير سورة الانعام (ص٥٣٩ ج٧)

﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ قال ابن عباس : لم يزل ابراهيم

يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله فتبرأ منه . وفي رواية عنه: فلما تبين له انه عدو الله يقول لما مات على كفره . وقال قتادة تبين له حين مات وعلم أن التوبة انقطعت عنه . وقيل انه تبين له ذلك بوحي من الله تعالى، فحينئذ تبرأ منه ومن قرابته ، وترك الاستغفار له كما هو مقتضى الايمان (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) الآية

﴿ ان ابراهيم لأواه حليم ﴾ هذه الجملة المؤكدة بوصف ابراهيم ﷺ بالمبالغة في خشية الله والخشوع له ، وبالحلم والثبات في أموره كلها ، تعليل لامتناعه عن الاستغفار لابيه بعد العلم برسوخه في الشرك وعداوة الله عز وجل. الأواه الكثير التأوه والتحسر وانما يتأوه ابراهيم من خشية الله ويتحسر على المشركين من قومه ولاسيما أبيه ، ويطلق الاواه على الخاشع الكثير الدعاء والتضرع لله - وأصل التأوه قول « أوه » اوآه (بالكسر منونا وغير منون) أو واه، أو اوه، . وفي حديث مرفوع في التفسير « الأواه الخاشع المتضرع » وعن ابن عباس فيه روايات منها انه المؤمن أو الموقن بلسان الحبشة ، والحليم الذي لا يستفزه الغضب ولا يعبث به الطيش ، ولا يستخفه الجهل أو هوى النفس ، ومن لوازمه الصبر والثبات والصفح والتأني في الأمور واتقاء العجلة في كل من الرغب والرهب

﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم ﴾ أي وما كان من شأن الله تعالى في حلمه ورحمته ، ولا من سننه في خلقه التي هي مظهر عدله وحكمته ، أن يصف قوما بالضلال ، ويجري عليهم أحكامه بالذم والعقاب ، بعد إذ هداهم الى الايمان ، وشرح صدورهم بالاسلام ، بمجرد قول أو عمل صدر عنهم بخطأ الاجتهاد

﴿ حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ من الاقوال والافعال ، بيانا جليا واضحا لا شبهة فيه ولا إشكال ﴿ ان الله بكل شيء عليم ﴾ فهو يشرع لهم من الاحكام ما تكمل به فطرتهم ، ويستقيم به رأيهم وفهمهم ، فيبين لهم مهمات الدين بالنص القاطع حتى لا يضل فيه اجتهادهم باهواء نفوسهم ، ويترك لهم مجالا للاجتهاد فيما دون ذلك من مصالحهم ، فهو لهذا لم يؤاخذ ابراهيم في استغفاره لابيه قبل أن

يتبين له حاله، وكذلك لايؤاخذ النبي والذين آمنوا بما سبق لهم من الاستغفار لوالديهم وأولي القربى منهم قبل هذا التبيين لحكم الله في ذلك، وان كان من شأنه أن يعلم أنه من لوازم الايمان، قال مجاهد في تفسير الجملة: بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة، وفي بيان طاعته ومعصيته عامة، مافعلوا أو تركوا. اه

يعني ان الآية عامة وان نزلت في مسألة استغفارهم للمشركين. وعن ابن عباس انها نزلت حين أخذوا الفداء من المشركين يوم الاسارى قال: لم يكن لكم أن تأخذوه حتى يؤذن لكم. ولكن ماكان الله ليعذب قوما بذنب أذنبوه حتى يبين لهم مايتقون، قال حتى ينهاهم قبل ذلك اه

وأقول الآية متأخرة النزول عن غزوة بدر ولكنها شاملة لحكمها فقد تقدم أن أخذ الفداء من الاسرى هو في معنى الاستغفار للمشركين هنا من حيث انه خلاف مايقتضيه شأن النبوة والايمان لقوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) [illegible] الاستغفار هنا. ثم قال تعالى هنالك بعد عتابهم الشديد (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب أليم) فابن عباس يفسر هذا الكتاب بحكمه تعالى في هذه الآية بأنه لايحكم بضلال قوم في شيء فيعاقبهم عليه إلا بعد أن يبين لهم مايتقون بيانا واضحا تاما لا مجال معه للاجتهاد الذي يكون عذراً في المخالفة، سواء كانت هذه الآية نزلت وقتئذ أم لا - فهذا حكم الله تعالى.

أخرج ابن المنذر ان عبدالله بن مسعود (رض) كان يخطب أصحابه كل عشية خميس ثم يقول: فمن استطاع منكم أن يغدو عالما أو متعلما فليفعل ولا يغدو لسوى ذلك، فان العالم والمتعلم شريكان في الخير. أيها الناس: إني والله أخاف عليكم أن تؤخذوا بعالم يبين لكم وقد قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون) فقد بين لكم ماتتقون.

ويؤخذ من هذا كله قاعدة أن أحكام الاسلام العامة التي عليها مدار الجزاء في الآخرة، ويكلف العمل به كل من بلغه إن كان من الاحكام الشخصية وتؤخذ بها الامة كلها وتنفذه أئمتها وأمراؤها فيها ان كان من الاحكام القضائية او السياسية

هو ما كان قطعي الدلالة ببيان الله تعالى ورسوله لا حجة معه لأحد في تركه . وان ماعداها منوط بالاجتهاد ، فمن ظهر له من نص ظني الدلالة حكم واعتقد أنه مراد الله من الآية وجب عليه اتباعه ، ومن لا فلا . كما وقع عند نزول آية البقرة في الخمر والميسر إذ فهم بعض الصحابة من قوله تعالى (وإثمهما أكبر من نفعهما) تحريمهما فتركه ، وبقي من لم يفهم هذا يشرب الخمر حتى بين الله تحريمها بيانا قطعياً بآيات المائدة . وأصل مذهب الحنفية أن الفرائض والتحريم الديني لا يثبتان إلا بالنص القطعي أو بنص القرآن القطعي بل هذا ما كان عليه علماء السلف . وتقدم تحقيق المسألة (في ص ٣٧١ ج ١٠ تفسير)

﴿ ان الله له ملك السموات والارض ﴾ لا شريك له في خلقهما ولا في تدبير شؤونهما ولا في التشريع الديني للمكلفين فيهما ﴿ يحيي ويميت ﴾ أي يهب الحياة الحيوانية والحياة المعنوية الروحية بمحض قدرته ومشيئته ومقتضى سننه في التكوين والهداية العملية [illegible] الابدان بانقضاء آجالها المقدرة في علمه ومن الانفس بنكوبها عن [illegible] الهداية ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ أي وليس لكم أيها المؤمنون أحد غير الله يتولى أمركم ، ولا نصير ينصركم على عدوكم ، فلا تحيدوا عن هدايته فيما نهاكم عنه من الاستغفار لأولي القربى الذين هم أهل الولاية والنصرة من عصباتكم في الانساب ، ولا في غير ذلك من أوامره ونواهيه

(١١٧) لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ

عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ

هذه الآيات تتمة ما تقدم من موضوع توبة المتخلفين عن غزوة تبوك، أخرت على سنة القرآن في تفريق الآيات في الموضوع الواحد لانه أدنى أن لا يسأم التالي لها في الصلاة وغيرها ، وأقوى في تجديد الذكرى والتأثير في النفس كما بيناه مراراً ، وهو مناسب لما قبله من النهي عن الاستغفار للمشركين وهو مما يتاب منه

﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ﴾ هذا خبر مؤكد بلام القسم على حرف التحقيق بين به تعالى غاية رضاه عن نبيه وأصحابه المؤمنين الصادقين من المهاجرين والانصار وتجاوزه عن هفواتهم في هذه الغزوة وفي غيرها ، لاستغراقها في حسناتهم الكثيرة على كونهم لا يصرون على شيء منها ، وانما كانت هفوات [illegible] الرأي فيما لم يبينه الله تعالى لهم بياناً قطعياً [illegible] على النبي ﷺ هنا بقوله تعالى في سياق هذه الغزوة (٤٣ عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟) الآية وحققنا في تفسيرها مسألة ذنوب الانبياء وكونها من الاجتهاد الذي لم يقرهم الله عليه لان غيره خير منه[1] وأما المهاجرون والانصار (رض) وهم خاص المؤمنين

﴿ الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ فمنهم من كان ذنبه التثاقل في الخروج حتى ورد الامر الحتم فيه والتوبيخ على التثاقل الى الارض ، ومنهم من كان ذنبهم السماع للمنافقين فيما كانوا يبغون من فتنة المؤمنين

فأما العسرة فهي الشدة والضيق . وكانت عسرة في الزاد اذ كانت عند انتهاء فصل الصيف الذي نفدت فيه مؤنتهم من التمر ، وأول فصل الخريف الذي بدأ فيه ارطاب الموسم الجديد ولا يمكن حمل شيء منه ، فكان يكتفي الواحد منهم او الاثنان بالتمرة الواحدة من التمر القديم ومنه المدود واليابس ، وقد تزود

(١) راجع ص ٤٦٤ ج ١٠ تفسير

بعضهم أيضا بالشعير المسوس والاهالة الزنخة - وعسرة في الماء حتى كانوا ينحرون البعير على قلة الرواحل ليعتصروا الفرث الذي في كرشه ويبلوا به ألسنتهم - وعسرة في الظهر حتى كان العشرة يعتقبون بعيراً واحداً - وعسرة في الزمن اذ كان في حمارة القيظ وشدة الحر ، ولعل التعبير بساعة العسرة للتذكير بذلك الوقت العصيب ، قال جابر بن عبدالله (رض) في ساعة العسرة: عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء ، وقال ابن عباس لعمر (رضي الله عنهم) حدثنا من شأن ساعة العسرة ، فقال: خرجنا مع رسول الله ﷺ الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع حتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر الصديق (رض) يارسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع لنا ، فرفع يديه فلم يرجعها حتى قالت السماء ، فأهطلت ثم سكبت فملؤوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر ، أخرجه ابن جرير وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في دلائلهما والضياء في المختارة

﴿ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ﴾ أي اتبعوه من بعد ما قرب أن يزيغ قلوب فريق منهم عن صراط الايمان ، بعصيان الرسول حين أمر بالنفير العام ، إذ تثاقل بعضهم عن النفر ووبخهم الله تعالى في الآيات ٣٨ و ٣٩ و ٤٠(*) أو المعنى انه تاب على المؤمنين كافة من بعد ما كاد يزيغ بعضهم عن الايمان والمراد بهم الذين تخلفوا بالفعل منهم لغير علة النفاق ، وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً واعترفوا بذنوبهم تائبين فقبل الله توبتهم كما تقدم ، وقول هنا فيهم ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ وهو الظاهر من العطف بثم ، وأما على التوجيه الآخر فهو تأكيد لما في أول الآية من التوبة على الجميع ﴿ انه بهم رءوف رحيم ﴾ وهذا تعليل لقبول توبتهم . قرأ (كاد يزيغ) بالياء التحتانية حمزة وحفص ،

(*) براجع تفسيرها في ٤٢٣ - ٤٣٤ ج١٠

وقرأها الباقون (تزيغ) بالفوقانية ، والمعنى واحد فيهما الا ان في هذه من احتمال الاعراب ما ليس في تلك

﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ أي وتاب أيضا على الثلاثة الذين خلفوا عن الخروج الى تبوك معه ﷺ وهم المرجون لأمر الله في الآية (١٠٦) او خلفوا بمعنى أرجئوا حتى ينزل فيهم امر الله ، وهم كعب بن مالك من بني سلمة وهلال ابن أمية من بني واقف ومرارة بن الربيع من بني عمرو بن عوف ﴿ حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾ اي خلفوا وأرجئ أمرهم الى ان شعروا بأن الارض قد ضاقت عليهم برحبها أي بما وسعت من الخلق خوفا من العاقبة وتألما وامتعاضا من إعراض النبي ﷺ والمؤمنين عنهم وهجرهم اياهم في المجالسة والمحادثة والتحية ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ اي وضاقت أنفسهم على أنفسهم وتائما كان ذلك ، كانوا يشعرون بضيق صدورهم [illegible] من الغم والهم حتى لا متسع فيها لشيء من البسط والسرور ، [illegible] لا يجدون لانفسهم مكانا ترتاح اليه وتطمئن به

﴿ وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا اليه ﴾ واعتقدوا انه لا ملجأ لهم من سخط الله يلجئون اليه الا اليه تعالى بأن يتوبوا اليه ويستغفروه ويرجون رحمته فان الرسول البر الرحيم بأصحابه ما عاد ينظر اليهم ولا يكلمهم حتى يطلبوا دعاءه واستغفاره ، وهو ﷺ لا يشفع في الدنيا ولا في الآخرة إلا لمن ارتضى الله أن يشفع لهم

﴿ ثم تاب عليهم ﴾ اي بعد ذلك كله عطف تعالى ورجع عليهم وأنزل قبول توبتهم أو وفقهم للتوبة المقبولة عنده ﴿ ليتوبوا ﴾ ويرجعوا اليه بعد إعراضهم عن هدايته واتباع رسوله ﷺ ﴿ ان الله هو التواب الرحيم ﴾ انه تعالى هو الكثير قبول توبة التائبين ، الواسع الرحمة للمحسنين ، وتقدم مثله قريبا

وان العبرة بهذه القصة لا تتم إلا بذكر أصح الروايات وأوسعها فيها وهو حديث كعب بن مالك (رض)

أخرج أحمد والبخاري ومسلم وأشهر مدوني التفسير المأثور من طريق الزهري

قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك ــ وكان قائد كعب من بنيه حين عمي ــ قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قال كعب لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها انما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر ، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك اني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة إلا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً ، واستقبل عدواً كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ — يريد الديوان

قال كعب رضي الله عنه : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى به ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل . وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وانا لها اليها أصعر ، فتجهز اليها رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولا أقضي شيئاً ، فأقول لنفسي أنا قادر على ذلك إن أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ غاديا والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً ، وقلت الجهاز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه ، فغدوت بعد ما فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض من جهازي شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، فهممت ان أرتحل فادركهم وليت أني فعلت ، ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني اني لا أرى

لي أسوة إلا رجلا مغموصاً عليه في النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله[1] ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك « مافعل كعب ابن مالك ؟ » فقال رجل من بني سلمة: يارسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل ، بئسما قلت ، والله يارسول الله ماعلمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل ان رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنج منه بشيء أبداً ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله ﷺ قادما ، وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعا وثمانين رجلا ، فقبل رسول الله ﷺ منهم علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي « تعال » فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي « ماخلفك ؟ ألم تكن قد اشتريت ظهرك ؟ » فقلت يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدلا ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عني به ليوشكن الله يسخطك علي ، ولئن حدثتك بحديث صدق تجد علي فيه ، اني لأرجو فيه عقبى من الله ، والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال ﷺ « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك » فقمت وبادرني رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي والله ماعلمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، لقد عجزت أن لاتكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المتخلفون فلقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ قال « فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع الى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد ؟

---

(١) يعني الضعفاء المرضى والذين لا يجدون ماينفقون

قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلت من هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي

قال ونهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس ـ او قال تغيروا لنا ـ حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي بالارض التي كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما . وأما أنا فكنت اشد القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالاسواق فلا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة وأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر ، فاذا اقبلت على صلاتي نظر إلي ، فاذا التفت نحوه اعرض عني ، حتى اذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة ـ وهو ابن عمي واحب الناس إلي ـ فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام ، فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم اني احب الله ورسوله ؟ قال فسكت ، قال فعدت فنشدته فسكت ، فعدت فنشدته . قال الله ورسوله اعلم . ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار .

وبينا أنا امشي بسوق المدينة اذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاءني فدفع إلي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه :

أما بعد فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت حين قرأتها وهذه أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها

حتى اذا مضت أربعون ليلة من الخمسين اذا برسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال ان رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال بل اعتزلها ولا تقربنها ، وأرسل الى صاحبي مثل ذلك ، فقلت لامرأتي إلحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر ، فجاءت امرأة

هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله إن هلالا شيخ ضائع وليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال « لا ولكن لايقربنك » فقالت انه والله مابه من حركة الى شيء ، ووالله مازال يبكي من لدن ان كان من أمرك ماكان الى يومه هذا ، فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه . فقلت والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ وما أدري مايقول اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ،

قال فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا ، قال ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صارخا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر ، فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر . فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض إلي رجل فرسا وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته والله مااملك غيرهما يومئذ ، فاستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أؤم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجا بعد فوج يهنئوني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك . حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس ، فقام إلي طلحة بن عبيد يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ماقام إلي رجل من المهاجرين غيره ، قال فكان كعب رضي الله عنه لاينساها لطلحة .

قال كعب رضي الله عنه : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور « ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال « لا بل من عند الله » وكان رسول الله ﷺ اذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ قال « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » فقلت اني أمسك سهمي الذي

بخبره ، وقلت يارسول الله انما أنجاني الله بالصدق ، وان من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا مابقيت ، قال فوالله ماأعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تعالى ، والله ماتعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ الى يومي هذا كذبا واني لارجو أن يحفظني الله فيما بقي وأنزل الله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار — الى قوله — وكونوا مع الصادقين)

قال كعب فوالله ماأنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني الله للاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فان الله قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ماقال لاحد فقال (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس - إلى قوله - الفاسقين)

قال كعب وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر اولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وليس الذي ذكر مما خلفنا تخلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه إيانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه اه

ان في هذه القصة لأكبر عبرة تفيض لها عبرات المؤمنين، وتخشع لها قلوب المتقين، وكان الامام احمد لايبكيه شيء من القرآن كما تبكيه هذه الآيات وحديث كعب في تفصيل خبرهم فيها . وأي مؤمن يملك عينيه أن تفيض من الدمع ، وقلبه أن يخف ويجف من الخوف اذا قرأ او سمع هذا الخبر ، وتأمل ما فيه من العبر ، التي لا يمكن بسطها إلا في كتاب مستقل ، ولا ادري ماعسى أن ينال من قسوة قلوب الغافلين ، وجهل المغرورين ، الذين يقترفون الفواحش والمنكرات ، ويتركون الفرائض والواجبات ، ويصرون على مافعلوا وهم يعلمون . فلا يتوبون ولا هم يذكرون ، وإذا وعظهم واعظ أو ذكرهم مذكر ، وجد اللابسين لباس الاسلام منهم بين جازم بالمغفرة والمثوبة ، وبين متكل على شفاعة الشافعين له ومنهم من يحفظ من أخبار المكفرات للذنوب ما لا يصح له سند، ولا يستقيم له على

أصول الدين متين ، وما له أصل من هذه الاخبار يراد به تكفير الصغائر ، بشرط اجتناب الكبائر ، لقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وما كان العمل الصالح فيه مقرونا بالتوبة أخذاً من قوله تعالى (١٦ : ١١٩ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا. ان ربك من بعدها لغفور رحيم) وتقدم بيان هذه المسألة في مواضع (آخرها ص ١٧٥ ج ١٠)

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ باتباع ما أمر به بقدر الاستطاعة ، وترك ما نهى عنه وبين تحريمه مطلقا ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ أي مع جماعة الصادقين او منهم (وفي قراءة ابن مسعود وقد تكون تفسيراً) دون المنافقين الذين يتنصلون من ذنوبهم بالكذب ويؤيدونه بالحلف . والصادقون هم المتصفون بالصدق والاخلاص في جهادهم إذا جاهدوا ، وفي عهودهم إذا عاهدوا ، وفي أقوالهم ووعودهم إذا حدثوا ووعدوا ، وفي توبتهم إذا أذنبوا او قصروا . والمنافقون ضدهم في ذلك وغيره

تقدم في آخر حديث كعب بن مالك المتفق عليه ان هذه الآية نزلت فيه وفي أصحابه بما صدقوا رسول الله ﷺ ولم ينتحلوا لأنفسهم عذراً كاذبا في التخلف عن النفر معه . وبه قال نافع والسدي. وقال عبد الله بن عمر [رض] (وكونوا مع الصادقين) مع محمد ﷺ وأصحابه . وقال سعيد بن جبير والضحاك: مع أبي بكر وعمر - وابن عباس وأبو جعفر : مع علي . والحق انها عامة كما قال ابن عمر في عهده ، ومثله يقال في الصادقين من بعده ، وان الثلاثة الذين نزلت في قصتهم يدخلون في عمومها دخولا أوليّاً . وان أبا بكر وعمر وعلياً أفضل من هؤلاء الثلاثة وأعرق في الصدق وأكمل . ولكني أشم من الروايتين رائحة وضع النواصب والروافض ، وقيل ان المراد بالصادقين المهاجرون وان أبا بكر احتج بالآية على الانصار يوم السقيفة. وهذا القول لا وجه له والاحتجاج به لا يصح ، ووجه القائلين به بأنه جعل الصادقين هنا هم الصادقين في آية سورة الحشر (٨٩ : ٩ للفقراء المهاجرين -

الى قوله - اولئك هم الصادقون) ومقتضاه أن يكون هذا الوصف خاصا بالمهاجرين حيث وجد في القرآن معرّفا كآية (٤٩ : ١٥ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله - إلى قوله - اولئك هم الصادقون) وقوله (ليسأل الصادقين - ليجزي الله الصادقين) وغيرهن - وهو باطل ولم يقل به أحد ، ومع هذا لايدل على وجوب اتباع الانصار وغيرهم لهم في الامامة كما قال الطوفي

أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأشهر رواة التفسير والبيهقي في الشعب عن عبدالله بن مسعود (رض) لايصلح الكذب في جد ولا هزل ، ولا يَعِدْ أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجزه ، اقرؤا إن شئتم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فهل تجدون لأحد رخصة في الكذب ؟ وأخرجه عنه الحاكم وصححه ، والبيهقي مرفوعا الى النبي ﷺ بلفظ « ان الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ، ولا يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له ، ان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، انه يقال للصادق : صدق وبر ، ويقال للكاذب : كذب وفجر . وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، ويكذب حتى يكتب عند الله كذابا »

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عنه قال قال رسول الله ﷺ « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البر وان الرجل ليصدق — الخ ما تقدم آنفا — وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الرجل ليكذب» — الخ ما تقدم فيا قبله — والاحاديث في فضيلة الصدق ورذيلة الكذب وكونها من صفات المنافقين كثيرة تقدم بعضها ، وفي روايات عديدة « ان المؤمن قد يطبع على كل خلق إلا الكذب والخيانة» وانه لا رخصة في الكذب إلا لضرورة من خديعة حرب او اصلاح بين اثنين او رجل يحدث امرأته ليرضيها — يعني في مثل التحبب اليها بوصف محاسنها ورضاه عنها، لا في مصالح الدار والعيال وغيرها ، والرواية في هذا على علاتها تقيد بحديث « ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب - وفي رواية - ما يغني الرجل العاقل عن الكذب » روى ابن عدي الاول عن عمران ابن حصين والثاني عن علي رضي الله عنهما

(١٢٠) مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ ٱللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ، إِنَّ ٱللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ

(١٢١) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

هاتان الآيتان في تأكيد وجوب الغزو مع رسول الله ﷺ وما فيه من الأجر العظيم، وحظر تخلف أحد عنه إلا بإذنه، بما فيه من تفضيل أنفسهم على نفسه

﴿ ماكان لاهل المدينة ﴾ ما كان بالذي يصح لأهل المدينة عاصمة الاسلام ومقر الرسول ﷺ ولا بالذي يستقيم أو يحل لهم ﴿ ومن حولهم من الاعراب ﴾ كمزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار ﴿ أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ فيما ينهض به من أمور الملة ومصالح الامة ولاسيما إذا خرج غازيا في سبيل الله كافعل بعضهم في غزوة تبوك

﴿ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾ أي ولا ان يفضلوا أنفسهم على نفسه فيصونوها ويرغبوا بإيثار راحتها وسلامتها عن بذلها فيما يبذل فيه نفسه الشريفة القدسية من احتمال الجهد والمشقة في سبيل الله عز وجل . يقال رغب في الشيء إذا أحبه وآثره، ورغب عنه إذا كرهه وأعرض عنه، وقد جمع هنا بينهما بهذه العبارة المؤثرة الدالة على أن المتخلف يفضل نفسه ويؤثرها على نفس رسول الله ﷺ التي لا يكمل إيمان أحد حتى يحبه أكثر من حبه لنفسه، وهذا يصح بعده ﷺ في كل راغب عن سنته والتأسي به، كالملاحدة الذين يقولون لا يجب اتباعه بعد موته، والمبتدعة والمقلدة الذين يؤثرون بدعهم ومذاهبهم على سنته

قال الزمخشري ـ ونعم ما قال : أمروا أن يصحبوه على البأساء والضراء ، وأن يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط ، وان يلقوا أنفسهم من الشدائد مالقاه نفسه ، علما بأنها أعز نفس على الله وأكرمها . فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيمون لها وزناً ، وتكون أخف شيء عليهم وأهونه فضلا عن أن يربؤا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ، ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه . وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم ، وتوبيخ لهم عليه ، وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية اه

﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ﴾ أي ذلك الذي دل عليه النهي من النهي عن التخلف عنه ، ووجوب الاتباع له ، بسبب أن كل ما يصيبهم في جهادهم من أذى وان قل ، ومن إيذاء العدو وان صغر ، فهو عمل صالح لهم به أكبر الاجر ، فلا يصيبهم ظمأ (قلة الماء) أو نصب [illegible] أو مجاعة (قلة الزاد) في سبيل إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه ﴿ ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ﴾ وطؤهم إياه لانه من دارهم [illegible] بيوتهم ، فيغيظهم أن تمسه اقدام المؤمنين او [illegible] إذا يسر الله فتحه لهم

﴿ ولا ينالون من عدو نيلا ﴾ أي ولا يبلغون من أي عدو من أعداء الله ورسوله شيئا مما أرادوا من جرح أو قتل او أسر او هزيمة او غنيمة ﴿ إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾ أي كتب لهم بكل واحد مما ذكر عمل صالح مرضي لله تعالى يجزي عليه بالثواب العظيم ، فما أكثر هذه الاعمال الصالحات التي تعم الامور السلبية العارضة كالجوع والعطش ، وتشمل كل حركة من بطشة يد أو وطأة قدم ؟ ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ هذا تعليل لهذا الاجر العظيم يدل على عموم الحكم ، وإن كان من المعلوم بالضرورة ان هذا الجهاد مع رسول الله ﷺ أعظم اجراً ، وأنفس ذخراً ، قال قتادة : ان حكم الآية خاص به ﷺ وبمن جاهد معه ، وقال الاوزاعي وعبد الله بن المبارك وغيرهما من علماء التابعين : هذه الآية للمسلمين الى ان تقوم

الساعة. وهذا القول اصح، على ما لا يخفى من التفاوت في الاجر، فالجهاد في سبيل الله إحسان، و (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان)؟ في كل زمان ومكان

﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ﴾ أي كذلك شأنهم فيما ينفقون في سبيل الله صغر أم كبر، قل أم كثر، وفي كل واد يقطعونه في سيرهم غادين أو رائحين (وهو مسيل الماء في منفرجات الجبال وأغوار الآكام نخصه بالذكر لما فيه من المشقة) لا يترك شيء منه أو ينسى بل يكتب لهم

﴿ ليجزيهم الله ﴾ بكتابته في صحف أعمالهم ﴿ احسن ما كانوا يعملون ﴾ وهو الجهاد، فإنه عند وجوبه وفرضيته بالاستنفار له يكون أحسن الاعمال، إذ يتوقف عليه حفظ الايمان ودولة الاسلام وجميع ما يتعلق بها من فضائل الاعمال، يقال جزاه العمل وجزاه به. كما قال (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) والنص على جزائهم احسن ما كانوا يعملون لا [illegible] دونه وقد قال تعالى (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) وهو فيه، وانما المراد النص على انه هذا العمل احسن اعمالهم أو من أحسنها لانه جمع بين الجهاد بالمال والجهاد بالنفس وما قبله من الثاني فقط، والجزاء على الاحسن يكون أحسن منه على قاعدة (من جاء بالحسنة فله خير منها) وبيان ذلك بقاعدة (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وقال بعضهم إن معنى الجملة أنه تعالى يجزيهم بكل عمل مما ذكر احسن جزاء على أعمالهم الحسنة، اي في غير الجهاد بالمال والنفس، بأن تكون النفقة الصغيرة فيه كالنفقة الكبيرة في غيره من المبرات، والمشقة القليلة فيه كالمشقة الكثيرة فيما عداه من الاعمال الصالحات.

---

(١٢٢) وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ

هذه الآية من تتمة أحكام الجهاد بالقتال، مع زيادة حكم طلب العلم والتفقه في الدين وهو آلة الجهاد بالحجة والبرهان، الذي عليه مدار الدعوة الى الايمان، وإقامة دعائم الاسلام ، وانما جهاد السيف حماية وسياج . وسببها أن ما ورد في فضل الجهاد وثوابه وفي ذم القاعدين عنه وكونه من شأن المنافقين دون المؤمنين الصادقين ، قوى رغبة المؤمنين فيه حتى كانوا إذا أراد الرسول ﷺ ارسال سرية للقاء بعض المشركين وان قلوا ينتدب لها جميع المؤمنين ويتسابقون إلى الخروج فيها، ويدعون الرسول ﷺ وحده أو مع نفر قليل كما ورد، وانما يجب هذا في النفير العام اذا وجد سببه بقدر الحاجة لا في كل استنفار لمقاومة الكفار ، على ان النفر العام قد يتعذر او تكثر فيه الاعذار ، وقيل انه لم يكن واجبا على عمومه إلا في عهده ﷺ او على الانصار بمقتضى مبايعتهم له (راجع ص ٣٠٨ ج ١٠)

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ أي ما كان من شأن المؤمنين ولا مما يجب عليهم ويطلب منهم أن ينفروا جميعا في كل سرية تخرج للجهاد، فإن هذه السرايا من فروض الكفاية [illegible] فروض الأعيان [illegible] إذا خرج الرسول واستنفرهم للخروج ﴿ فلولا نفر من كل فرقة ﴾ لولا حرف تحضيض وحث على ما تدخل عليه ، أي فهلا نفر للقتال من كل فرقة كبيرة ﴿ منهم ﴾ كالقبيلة او أهل المدينة ﴿ طائفة ﴾ أي جماعة بقدر الحاجة ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ أي ليتأتى لهم أي المؤمنين في جملتهم التفقه في الدين بأن يتكلف الباقون في المدينة الفقاهة في الدين بما يتجدد نزوله على الرسول ﷺ من الآيات، وما يجري عليه ﷺ من بيانها بالقول والعمل، فيعرف الحكم مع حكمته ، ويفصل العلم المجمل بالعمل به،

﴿ ولينذروا قومهم ﴾ الذين نفروا للقاء العدو ﴿ اذا رجعوا اليهم ﴾ أي يجعلوا جل همهم من الفقاهة بأنفسهم ارشاد هؤلاء وتعليمهم ما علموا ، وانذارهم عاقبة الجهل، وترك العمل بالعلم ﴿ لعلهم يحذرون ﴾ أي رجاء أن يخافوا الله ويحذروا عاقبة عصيانه . ويكون جميع المؤمنين علماء بدينهم قادرين على نشر دعوته ، وإقامة

حجته ، وتعميم هدايته ، فهذا ما يجب أن يكون غاية العلم والتفقه في الدين والغرض منه ، لا الرياسة والعلو بالمناصب ، والتكبر على الناس وطلب المنافع الشخصية منهم

والآية تدل على وجوب تعميم العلم والتفقه في الدين والاستعداد لتعليمه في مواطن الاقامة وتفقيه الناس فيه على الوجه الذي يصلح به حالهم ، ويكونون به هداة لغيرهم ، وان المتخصصين لهذا التفقه بهذه النية ، لايقلون في الدرجة عند الله عن المجاهدين بالمال والنفس لاعلاء كلمة الله والدفاع عن الملة والامة . بل هم أفضل منهم في غير الحال التي يكون فيها الدفاع فرضا عينيا والدلائل على هذا كثيرة ، وما قاله بعض الاصوليين من دلالة الآية على الاحتجاج بخبر الواحد متكلف بعيد عن معنى النظم الكريم ، ومبني على أن لفظ طائفة يطلق على الواحد كما قيل وهو باطل

كنت أطلب العلم في طرابلس وكان حاكمها الاداري (المتصرف) فيها مصطفى باشا بابان من سروات الأكراد ، وكان من اهل العلم والفقه في مذهب الشافعية ، وقد قال لي مرة في دارنا بالقلمون : لماذا تستثني الدولة العلماء وطلاب العلوم الدينية من خدمة العسكرية وهي واجبة شرعا وهم أولى الناس بالقيام بهذا الواجب ؟ - يعرض بي - أليس هذا عملا لا أصل له في الشرع ؟ فقلت له على البداهة بل لهذا أصل في نص القرآن الكريم وتلوت الآية ، فاستكبر الجواب على مبتدىء مثلي لم يقرأ التفسير وأثنى ودعا . وقد تعارضت الروايات المأثورة في هذه الآية فاختلفت الاقوال في تفسيرها والحق فيها ما قلنا وعليه الجمهور

أخرج أبو داود في ناسخه ، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس (رض) قال نسخ هؤلاء الآيات (انفروا خفافا وثقالا - وإلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما) قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) يقول لتنفر طائفة ولتمكث طائفة مع رسول الله ﷺ فالماكثون مع رسول الله ﷺ هم الذين يتفقهون في الدين وينذرون اخوانهم اذا رجعوا اليهم من الغزو لعلهم يحذرون ما نزل من بعدهم من قضاء الله في كتابه وحدوده .

واخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في المدخل عنه في الآية : يعني ما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويتركوا النبي ﷺ وحده - فلولا

نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا فلا يسيرون الا باذنه. فاذا رجعت السرايا وقد نزل قرآن تعلمه القاعدون من النبي ﷺ قالوا ان الله أنزل على نبيكم بعدكم قرآناً وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ﷺ بعدهم ، ويبعث سرايا أخر ، فذلك قوله (ليتفقهوا في الدين) يقول يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ويعلمه السرايا إذا رجعت اليهم (لعلهم يحذرون)

فأما قوله في الرواية الأولى بأن هذه الآية نسخت آيات النفير العام فهو قد يوافق إطلاق السلف في النسخ ومنه عندهم تخصيص العام وتقييد المطلق ، ولا يصح هنا النسخ المصطلح عليه في أصول الفقه، لان موضع النفر الخاص غير موضع النفير العام، فلا تنافي بين الاحكام . وبهذا يقول جهور العلماء

وأخرج ابن جرير عن الحسن البصري انه جعل الضمير في قوله تعالى (ليتفقهوا في الدين) للطائفة التي تنفر لا للتي تبقى مع النبي ﷺ في المدينة وذلك قوله : ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم . [illegible] أولى بالصواب ، واوضح ذلك بأن هذه [illegible] الله اهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به فيفقه بذلك من معاينة حقيقة علم أمر الاسلام وظهوره على الاديان من لم يكن فقهه (ولينذروا قومهم) فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا ممن ظفر بهم المسلمون من اهل الشرك (إذا) هم (رجعوا اليهم) من غزوهم (لعلهم يحذرون) يقول لعل قومهم إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله حذراً ان ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروهم خبرهم اه وهذا تاويل متكلف ينبو عنه النظم الكريم فان اعتبار طائفة السرية بما قد يحصل لها من النصر - وهو غير مضمون ولا مطرد - لا يسمى تفقها في الدين وإن كان يدخل في عموم معنى الفقه ، فان التفقه هو التعلم الذي يكون بالتكلف والتدرج والمتبادر من الدين علمه . ولا يصح هذا المعنى في ذلك العهد إلا في الذين يبقون مع النبي ﷺ فيزدادون كل يوم علما وفقها بنزول القرآن كما تقدم آنفا في تفسير (وأجدر أن لا يعلموا حدود ما انزل الله) وما يأتي قريبا فيها

ينزل من السور فيزداد به الذين آمنوا إيمانا .

واخذ بعضهم من قول الحسن أنه يشمل السفر لاجل طلب العلم لما في الرحلة من اسباب زيادة الاستفادة بالانقطاع للعلم ولقاء اساطينه ، وعلل بعضهم فضيلة السياحة بذلك كما تقدم قريبا

وقد بينا معنى الفقه في عرف اللغة واستعمال القرآن، وانه اخص من العلم بفروع الاحكام ، وحققناه بشواهد الآيات في تفسير (٧ : ١٧٩ لهم قلوب لا يفقهون بها) — (٤٢٠ ج ٩)

---

(١٢٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ

اعلم أن هذه الآية قاعدة من قواعد القتال الذي نزلت أهم قواعده وأحكامه في هذه السورة والتي قبلها (الأنفال) وقد علمنا من سنة القرآن في تفريق الموضوع الواحد الكثير الاحكام في مواضع متفرقة ومن حكمتها أنها عوداً على بدء

﴿ يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ اي الذين يدنون منكم وتتصل بلادهم ببلادكم ، وذلك ان القتال شرع لتأمين الدعوة إلى الاسلام وحرية الدين والدفاع عن أهله ، وقد كانت الدعوة موجهة الى الاقرب فالاقرب من الكفار كما قال تعالى لرسوله (لتنذر ام القرى ومن حولها) وقال لاهل مكة (واوحي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) وكل من بلغته دعوته، بل أمره أن يخص الاقرب اليه في النسب من اهل بلده ام القرى فقال (وانذر عشيرتك الاقربين)

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في الآية قال : كان الذين يلونه من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغ منهم - وعن قتادة قال : الادنى فالادنى - وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر انه سئل عن غزو الديلم فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) قال « الروم » اه يعني ان الروم هم المراد بالكفار في الآية لانهم كانوا عند نزولها في هذه السورة بعد الفراغ من أمر

يهود المدينة وخيبر ثم الذين يلونهم في تبوك وسائر بلاد الشام

وترجيح البدء بالاقرب فالاقرب معقول من وجوه كثيرة كالحاجة والامكان والسهولة والنفقة ، ولذلك كانت القاعدة فيه عامة في الدعوة والقتال والنفقات والصدقات ، وكذا ما يدار في المجلس من شراب ونحوه فكان ﷺ يعطي من على يمينه وان لم يكن افضل الجالسين ثم الذي يليه فالذي يليه ، وأمر بان يأكل الانسان مما يليه . وانما تطرد القاعدة في الحالة العادية . وأما ما يعرض من ضرورة في كل ذلك فله حكمه فاحكام الضرورات مستثناة في الواجبات والمحرمات والآداب .

﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ أي وليجدوا فيكم شدة وخشونة في القتال ومتعلقاته كما تقدم في تفسير آية (٧٣ ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) (ص ٥٤٩ ج ١٠) والغلظة على المقاتلين في زمن الحرب من مقتضيات الطبيعة والمصلحة وتنكيرها في الآية يدل على ان لأولي الامر ان يحددوها في كل زمن وكل حال بما يتفق مع المصلحة ، وانما أمروا بها على كونها طبيعية لتقييد ما أمروا به في الاحوال العامة من الرفق والمثل و[illegible] معاملة الكفار [illegible] من أخلاق الاسلام . وأمر القتال مبني على الشدة والغلظة في كل الامم وقلما يحرم فظائعها إلا الاسلام كما تقدم في تفسير سورة الانفال . وقد بلغت فظائعها عند الافرنج في هذا العصر ما يخشى ان يفضي الى تدمير العمران كله ﴿ واعلموا ان الله مع المتقين ﴾ له في مراعاة أحكامه وسننه بالمعونة والنصر ، وأهمها ما يجب اتقاؤه في الحرب ، من التقصير في أسباب النصر والغلب ، التي بينها في كتابه ، والتي تعرف بالعلم والتجارب ، كاعداد ما يستطاع من قوة ، والصبر والثبات ، والطاعة والنظام ، وترك التنازع والاختلاف ، وكثرة ذكر الله ، والتوكل عليه فيما وراء الاسباب . وقد بينا حقيقة معنى التقوى وانواعها واختلاف المراد منها باختلاف مواضعها في تفسير (٨ : ٢٩ ص ٦٤٨ ج ٩)

---

(١٢٤) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٥) وَأَمَّا

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٦) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٧) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ

هذه الآيات الاربع آخر ما نزل في المنافقين، وتأثير نزول القرآن فيهم وفي المؤمنين ، ومن قدم الدليل على اليأس من ايمانهم ، واخبار الله بموتهم على كفرهم

﴿ واذا ما أنزلت سورة ﴾ كلمة «ما» بعد «اذا» تفيد التأكيد لمضمون شرطها، يعني واذ تحقق انزال الله تعالى على رسوله سورة من القرآن ﴿ فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ﴾ اي قول المنافقين من يقول لبعض اخوانه للاختبار ، او مع من يلقاه من المؤمنين كالمتشكك الذي يسأل ايكم زادته هذه السورة إيمانا ؟ أي يقيناً بحقية القرآن والاسلام ، وصدق الرسول ﷺ فان في كل سورة من القرآن آيات على صدقه ﷺ بما فيها من ضروب الاعجاز العامة الدالة على انها من عند الله تعالى وكون محمد ﷺ لا يستطيع ان يأتي بمثلها من تلقاء نفسه ، فالسؤال عن الايمان باصل الاسلام وصدق الرسول (ص) في تبليغه عن الله عز وجل . وهو التصديق الجازم المقترن باذعان النفس وخضوع الوجدان الذي يستلزم العمل ، لا بمجرد اعتقاد صدق الخبر ، الذي يقابله اعتقاد كذبه، فان أشد الناس كفراً اولئك المصدقون الجاحدون الذين قال الله لرسوله فيهم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ومثله قوله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ولا شك ان الايمان بمعناه الذي قلناه يزيد بنزول القرآن في عهد الرسول وناهيك بمن يحضر نزوله عليه ويسمعه منه ، وكذا يزيد بتلاوته وسماعه من غيره أيضاً ثبات في قلب المؤمن وقوة اذعان ، وصدق وجدان ، ورغبة في العمل والقرب من الله . قال

الله تعالى في جواب هذا السؤال وهو العليم الخبير ﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا ﴾ فاثبت تعالى للمؤمن زيادة الايمان بزيادة نزول القرآن وهو يشمل الزيادة في حقيقته وصفته من اليقين والاذعان واطمئنان القلب، وفي متعلقه وهو ما في السورة من مسائل العلم، وفي أثره من العمل والتقرب إلى الرب . وانما يتساءل المنافقون عن الاول وهو الذي يفقدونه وإنما غيره تابع له. ﴿ وهم يستبشرون ﴾ أي والحال انهم يسرون بنزولها وتستدعي زيادة الايمان في قلوبهم البشرى والارتياح بما يرجون من خير هذه الزيادة بتزكية أنفسهم ، وأثر ذلك في أعمالهم في الدنيا والآخرة

﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض ﴾ اي شك وارتياب يدعو إلى النفاق باسرار الكفر واظهار الاسلام ﴿ فزادتهم رجساً إلى رجسهم ﴾ اي كفراً ونفاقاً مضموما إلى كفرهم ونفاقهم السابق الذي هو اقذر الرجس النفسي وشر انواعه ﴿ وماتوا وهم كافرون ﴾ اي [illegible] فيهم، فكان مقتضى سنة الله تعالى في تأثير الاعمال في صفات النفس ان من مات منهم مات على كفره ، وسيموت من بقي منهم وهم متلبسون بالكفر . وهاك الدليل على ذلك :

﴿ أو لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ﴾ الاستفهام لتقرير مضمون الحكم عليهم والحجة عليه وهو داخل على فعل محذوف للعلم به من المقام والمعنى أيجهلون هذا ويغفلون عن حاظم فيما يعرض لهم عاما بعد عام من تكرار الفتون والاختبار الذي يظهر به استعداد الانفس للايمان او الكفر ، والتمييز بين الحق والباطل ، كالآيات الدالة على صدق الرسول ﷺ في كل ما اخبر به من نصر الله ولمن تبعه ، وخذلان اعدائه من الكفار والمنافقين ووقوع ما انذرهم ، ومن إنباء الله رسوله بما في قلوبهم ، وفضيحتهم بما يسرون من اعمالهم ، كما فصل في هذه السورة وذكر بعضه في غيرها — وقرأ حمزة ويعقوب (او لا ترون) على ان الخطاب للمؤمنين الذين قد يروعهم الخبر المؤكد وقوعه بموتهم على كفرهم ، كأنه يقول أتعجبون من الحكم عليهم بهذه العاقبة السوءى ولا ترون الدلائل الدالة عليها من فتنتهم وابتلائهم

المرة بعد المرة سنة بعد سنة ، بما من شأنه أن يذهب بشكهم ويشفي مرض قلوبهم، من آيات الله فيهم وفي غيرهم ﴿ ثم لايتوبون ولا هم يذكرون ﴾ أي ثم تمر الاعوام على ذلك ولا يتوبون من نفاقهم ، ولا يتعظون بما حلّ بهم مما أنذرهم الله تعالى به ؟ وهل بعد هذا من برهان على انطفاء نور الفطرة والاستعداد للايمان أقوى من هذا ؟ ان كان وراءه برهان أقوى منه فهو أنهم يفرون من العلاج الذي من شأنه أن يشفيهم من مرض قلوبهم وهو ما أكد به ماقبله بقوله:

﴿ واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض ﴾ هذا بيان لحال المنافقين الذين كانوا يكونون في مجلس الرسول (ص) عند نزول سورة وما يكون من فعلهم وقولهم عند تلاوته لها ، وما قبلها في بيان حالهم اذا بلغهم نزول سورة من حيث البحث عن تأثيرها ، وقد قيل ان الاولى تشمل من سمع منه ومن بلغ عنه ، والعبرة بموضوعها ، لا بطريقة العلم بها ، وان هذه أدل على رسوخهم في الكفر وعدم الطمع في [illegible] القرآن من الرسول ﷺ وهو اشد [illegible] كان المشركون يمنعونه من تلاوته على الناس لئلا يهتدوا بسماعه منه ، فان لم يتمكنوا من اسكاته اعرضوا عن سماعه ولغوا فيه ، ومنعوا صاحبه الصديق أيضاً من الصلاة في المسجد الحرام ثم من مسجده الخاص لما رأوا النساء والصبيان يجتمعون لسماع القرآن منه ويتأثرون بخشوعه فيه ، يقول : واذا انزلت سورة وهم في المجلس تسارقوا النظر وتغامزوا بالعيون ، على حين تخشع ابصار المؤمنين ، وتنحني رؤوسهم ، وتجب قلوبهم ، وترامقوا بالعيون يتشاورون في الانسلال من المجلس خفية لئلا يفتضحوا بما يظهر عليهم من الانكار والسخرية بالوحي ، قائلا بعضهم لبعض بالاشارة او العبارة ﴿ هل يراكم من احد ﴾ أي من الرسول والمؤمنين اذا نحن انصرفنا كارهين لسماعها ﴿ ثم انصرفوا ﴾ يتسللون لواذاً الى مجامعهم الخاصة بهم ، والتعبير بثم لبيان تراخي فعلهم عن وقت قولهم ، الى سنوح فرصة الغفلة عنهم ولو افراداً ، فكلما لمح احد منهم غفلة من المؤمنين عنه انصرف ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾

هذه الجملة تحتمل الدعاء والخبر ومضمونهما النهائي في كلام الله واحد كما تقدم نظيره قريبا . والمعنى صرف الله قلوبهم عن صدق الايمان ، والاهتداء بآيات الله في القرآن المرشدة الى آياته في الاكوان « بانهم قوم لا يفقهون » اي بسبب انهم قوم فقدوا صفة الفقاهة الفطرية وفهم الحقائق وما يترتب عليها من الاعمال ، لعدم استعمال عقولهم فيها ، فهم لا يفقهون ما يسموز من هذه الآيات لعدم تدبرها ، والاعراض عن النظر والتأمل في معانيها ، وموافقتها للعقل ، وهدايتها الى الحق والعدل ، ذلك بانهم اتخذوا انفسهم اعداء ، وخصوما للرسول فوطنوا انفسهم على الاعراض عن كل ما جاء به من غير بحث ولا تأمل فيه أمعقول ام غير معقول؟ احق ام باطل؟ اخير ام شر؟ اهدى ام ضلال ، انافع ام ضار؟ فأنى يرجى لهم وهذه حالهم ان يهتدوا بتعدد نزول الآيات والسور؟ انما مثلهم كمثل اعداء الاسلام من اهل الملل التي جروا على نظام تعليمي وتربية وجدانية عملية في عصبيتهم الدينية [illegible] وارتباط منافعهم الاجتماعية والسياسية بها : لقنهم رؤساؤهم انه يوجد دين اسمه الاسلام بني اساسه على عداوتكم [illegible] فيجب عليكم [illegible] ومتكلف تلمزونه [illegible] ولا تفكروا [illegible] الا العداوة والتحقير لهم ، وتدبير المكايد للعدوان عليهم ، واذا ظهر لكم شيء حسن من دينهم فوجهوا كل قواكم العقلية وبلاغتكم الكلامية الى تشويهه وذمه والصد عنه ، وهذا ما يفعله رجال الكنائس النصرانية على اختلاف مذاهبهم كما بيناه في غير هذا الموضع

ومن المباحث الكلامية في الآيات الخلاف في زيادة الايمان ونقصه ، على مذهبين في اثبات ذلك ونفيه ، وجمهور السلف من الصحابة والتابعين وحفاظ السنة على الاثبات . وهذه المسألة من اغرب مسائل عصبيات المذاهب عند النظار الجدليين ومقلديهم ، وما كان ينبغي لمسلم أن يجعل هذا موضع خلاف لبحث بعض من ينتسب اليهم في مفهوم لفظ الايمان الذي يتحقق باعتقاده الدخول في الملة هل يقبل الزيادة والنقصان في ذاته أم المراد من هذه الآية وما في معناها متعلق الايمان من العقائد والاحكام التي كانت تشتمل عليها السورة؟ واستبعاد ان يكون التصديق الذي يكون به الكافر مؤمنا قابلا للزيادة والنقصان ، وهي

نظرية باطلة ، وقد بينا معنى الآية بما يدل على ان قصر زيادة الايمان فيها على التصديق بزيادة العلم بما تضمنته باطل لان هذا بديهي لا يمكن ان يكون هو الذي سأل عنه المنافقون ، ونصوص القرآن الكثيرة صريحة في زيادة الايمان ونقصه ، وكذلك الاحاديث الصحيحة التي صرح فيها الرسول ﷺ بأن اقل الايمان وهو المنجي من الخلود في النار كالذرة او الخردلة من الايمان الكامل الذي لا يمس اهله من عذاب النار شيء ، كالذين وصفهم الله بقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الخ وقوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) الخ

والتحقيق ان اليقين في الايمان وغيره له درجات متفاوتة في القوة والضعف . واليقين الذي يصح به الايمان هو اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الجازم في غير الحسيات والضروريات كما بيناه في مواضع اوطاها تفسير (٢ : ٣ وبالآخرة هم يوقنون) وهو درجات ، منها التقليد الجازم ومنها المعلوم بالنظر والاستدلال ، وقد يطرأ عليهما الشك والريب ولولا ذلك ما تصور ارتداد مؤمن عن دينه ومنها ما يصير وجدانا ضروريا بشرح الصدر والنور [illegible] بكثرة الذكر والفكر والعبادة وأما اليقين المنطقي وهو العلم القطعي [illegible] الثاني ، كذا مع العلم القطعي باستحالة ان يكون غير كذا ، فهو هو الذي قالوا انه لا يقبل الزيادة والنقصان ، ولكنه نادر الوقوع في غير الضروريات ولا تتوقف عليه صحة الايمان ، ومع هذا يمكن ان يقال انه قابل للزيادة في وصفه وطمأنينة القلب به ، وفي ترتب آثاره عليه . ومثال الاول أن ترى شبحا في سدفة الفجر فتعلم انه انسان في انتصاب قامته ثم تزداد علما به كلما انتشر الضياء حتى يكون العلم به تفصيليا . والبرهان المنطقي المفيد لهذا اليقين عندهم لا تكون مقدماته النظرية في درجة الضروريات قوة وثباتا . وقد قسم بعضهم اليقين الى ثلاث درجات علم اليقين وهو ما يعلم بالدليل ، وعين اليقين وهو ما يكون بالمشاهدة والكشف ، وحق اليقين وهو ما يكون بالذوق والوجدان . ومثل لها بعضهم بالفناء عند الصوفية بالموت ، فكل أحد عنده علم اليقين بأنه يموت فاذا عاين ملائكة الموت عند الحشرجة وقبل قبض الروح كان عين اليقين ، فاذا مات بالفعل وصل الى درجة حق اليقين ، لكن هذه الدرجة وما قبلها لا يتعلق بهما التكليف .

ايطالية شر دول الاستعمار

كانت دول الاستعمار شراً على الشعوب التي يستعمرون بلادها وحدهم فصارت شراً على جميع البشر، فإن التنازع والتحاسد فيه قد أغرى بينها العداوة والبغضاء أو زاد نارهما ضراماً، فكان أعظم أثر له في العالم هذه الحرب الاخيرة التي هي مصداق لقوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) فقد أصاب سعيرها جميع البشر، ولا تزل عواقبها السوءى موضع الشكوى في العالم كله من ضيق المعايش والعسر المالي، وهو لم يزد هذه الدول إلا طمعاً وجشعاً في سلب الاموال، وضراوة بسفك الدماء، والاستعداد للحرب المدمرة للعمران

وكان المعروف أن شر هذه الدول في الاستعمار فرنسة [illegible] خطتها في مستعمراتها إفساد عقائد أهلها وأخلاقهم وآدابهم وحرمانهم من الثروة ومن جميع العلوم الدينية والدنيوية، ليرضوا [illegible] خدمهم والدوب في هذه المزارع الفرنسية يحرثون ويزرعون [illegible] أموال سيدتهم، وتمتيع شعبها الفاسق بالشهوات واللذات [illegible] الذليل أبناء ملتهم أو للدفاع عن أنفسها [illegible]

ما كان يخطر على قلب بشر أن يوجد في البشر شر على البشر من هذه الدولة ولكن كان هذا قبل استيلاء شقيقتها اللاتينية على طرابلس وبرقة وقبل عهد وزيرها الفاشيستي السنيور موسوليني الذي شبه اللئام السعود كما قيل أنا بمرجل من الديناميت على أتون من النار، قد قارب الانفجار، فلا يدري أحد الا الله ما يكون لانفجاره من فظائع الآثار

ظهرت هذه الدولة في هذا العهد بأفظع ما عرف في التاريخ الكاثوليكي وحروبه الصليبية من مظاهر الحماسة الدينية، وأفظع ما يؤثر فيه من أخبار الاثرة اللاتينية، وشر ما عرف من عار المظالم النيرونية، فخطتها الآن محو الاسلام واستئصال العرب من برطرابلس وبرقة بالتقتيل والتجويع والاجلاء للرجال، والتنصير للاطفال، والمحال لذلك عندها أن تسل شعبها من سوء حظ البشر كثير لا تسعه بلاده فيجب أن تنتزع من بلاد الناس ما تقدر على انتزاعه وتستأصلهم منها لاسكانه فيها، وانه لابد لها من اعادة المستعمرات الرومانية كلها إلى رومية.. (وسيرى القاري بعض فظائعها في هذا الجزء)

الحاد في القرآن

ودين جديد بين الباطنية والاسلام

(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

طبع القرآن المجيد في خاتمة هذا العام ، طبعة جديدة مشوهة حواشيها بتحريف سخيف لآياته في العقائد والاحكام ، وُصف كذبا وزوراً بانه تفسير للقرآن بالقرآن ، وبهذا الوصف بيعت نسخ كثيرة منه قبل طبعه باسم الاشتراك لمن صدقوا انه ليس فيه الا تفسير كل آية بالدلالة على كل ما في معناها أو موضوعها من الآيات.

ومن هؤلاء [illegible] صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية السابق إلى [illegible] أو المراجعة

وعرض الاشتراك فيه على آخرين بوصف آخر فقبلوه به ، وهو انه تفسير عصري سياسي يقيم الحجج من القرآن على بطلان الحكومة الشخصية الملكية وذم استبداد الملوك (!) واثبات الحكومة الوطنية النيابية (!) ويزيل من طريقها عقبات التشريع الديني الذي وضعه الفقهاء وغيرهم من علماء الدين حتى ما كان منها منصوصا في القرآن كالحدود الشرعية وتعدد الزوجات والتسري ، وكل ما مستنده السنة النبوية ، بل يبيح لهم تعمد مخالفة رسول الله ﷺ بآرائهم وما يدعون من المصلحة بأهوائهم

وعرض على بعض الماديين بانه تفسير مادي يتأول لهم ما ورد في عالم الغيب من الجن والشياطين والملائكة ومعجزات الانبياء والمرسلين ، فيكفيهم من الاسلام أن يعترفوا بالفاظ القرآن ، ويتصرفوا في معانيها بما يشاءون غير

مقيدين باللغة العربية في مفرداتها ولا تركيبها ونظم أسلوبها ، ولا بما ورد عن النبي ﷺ وأصحابه (رض) فيها ، ولا من دونهم من أئمة الحديث والفقه بالاولى ، ويلزم من هذا بالاولى ألا يلتزموا كل ماقبله هذا الملحد من أحكام القرآن غير محرف ، اذ ماجاز له من الرد والتأويل بالهوى يجوز لغيره على قاعدته في اختلاف معاني القرآن باختلاف الزمان والمكان ، وهو ماصرح به فيا نشره في الاهرام

ثم تم الطبع وظهر الكتاب ، فوقع في يد فضيلة شيخ الازهر فبادر إلى مخاطبة الحكومة بمصادرته لتضمنه مخالفة ماأجمع عليه المسلمون من دين الله تعالى . فصادرت الحكومة ما كان في مطبعة الحاج مصطفى البابي الحلبي وأولاده منه وما وجد في ادارة البريد أو سكة الحديد مهيئا لنقله

ثم نشرت جريدة الاهرام حديثا بعد حديث لفضيلة شيخ الازهر في شأنه ليتهما لم ينشرا ، فانهما على كونهما لم يبينا للناس أهم ما يجب بيانه من تحريف تلك الحواشي لكتاب الله ، واشتمالها على ما هو ارتداد صريح عن دين الله لا يحتملان التأويل ، وانه [illegible] وقد [illegible] بعض علماء الازهر المدرسين في قسم التخصص منه ، وهو أنهم اقتنعوا بنشر هذه الكتاب ، ويلزم منه موافقة صاحبه على ما فيه ، والتصريح بأن المجلس الاعلى للأزهر والمعاهد الدينية قد قرر نقل اثنين من هؤلاء المتهمين من قسم التخصص إلى معهد أسيوط من باب الاحتياط قبل التحقيق في أمرهما .

فبهذا وذاك فهم عامة الناس وبعض خاصتهم ان هذا التفسير الجديد للقرآن موضوع خلاف بين علماء الازهر أو بين شيخ الازهر وبعض مدرسي القسم الاعلى فيه ، لا مما يتفق علماء الملة على كونه مخالفا لاجماع المسلمين ، وقد نشرت الجرائد من عهد قريب لبعض العلماء انكاراً على بعض ما نشر في مجلة الازهر والمعاهد الدينية (نور الاسلام) مع الوعد بتتابع النشر ، (ونحن قد جاءتنا رسائل متعددة في الرد على هذه المجلة في مسائل تتعلق بالعقائد ومقام الرسول ﷺ وحديثه) فيكون للناس عذر إذا ظنوا ان الخلاف في التفسير الجديد كالخلاف فيما تنشره مجلة المعاهد الدينية مما يعهد مثله دائما بين العلماء

ولما نشر في جريدة الاهرام وغيرها اسماء هذين المدرسين (وهما الشيخ محمد العدوي والشيخ عبد الجليل عيسى) قويت الشبهة في اتهام الاستاذ الاكبر إياهما، لعلم المشتغلين بالقضية الوطنية — أو جمهور الناس — أنهما من المايلين إلى الوفد المصري والمتصلين بأ كبر زعمائه بصداقة سابقة ، وأنهما من جماعة العلماء الذين أنكروا على فضيلة شيخ الازهر ومن معه من هيئة كبار العلماء الرسميين ذلك المنشور المشهور الذي نشروه لتأييد الوزارة الاسماعيلية الحاضرة ، ووضعوا بيانا آخر في موضوع الشقاق في القضية الوطنية ، ولم يتمكن الشيخ من منع نشرهم له إلا بجهد وعناء عظيمين

فبهذا وجد واضع الحواشي البدعية الالحادية طريقا ممهداً للرد على شيخ الازهر بانه انما سعى لدى الحكومة التي ينصرها بان تصادر تفسيره لتأييد سياستها لا للدفاع عن الدين ، وطعن على فضيلته بانه لم يعهد منه النضال عن الاسلام والمسلمين ، ويخشى أن يصدق [illegible] المصريين مستدلين كما استدل بسكوت الشيخ عن الانكار على أعمال فرنسة في المغرب الاقصى ، وايطالية في طرابلس وبرقة، والحق ان هذا الايقاص [illegible] وراء فان سكوت الشيخ وهو رئيس العلماء الدينيين عن هذا الكتاب يعد إقراراً له ، وانكاره إياه يقتضي منع لنشر الالحاد والفساد باسم القرآن ، وأما الانكار على عدوان الدولتين على الاسلام والمسلمين فقصاراه أنه يقوي التكافل والتعاون بين المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم ، ولكنه لا يمنع ذلك العدوان إلا اذا ترتب عليه عمل كبير ، وانا لنعلم انه وجد من الناصحين من حذر فضيلة الشيخ الاستهداف لهذه التهمة وسوء تأثيرها في سمعته

وشبهة الشيخ على هذين الاستاذين كما علمناه من حديثنا مع فضيلته ان الرجل كان مصاحبا لهما ، ونحن نعلم انه كان ينزل ضيفاً على أحدهما وعلى المرحوم الشيخ محمد عبد العزيز الخولي خير خطباء مصر وأنفع وعاظها ، ويلتقي عندهما ومعهما سائر إخوانهما من المدرسين الممتازين في الازهر باستقلال الفكر ، والانصاف والادب في البحث ، والدفاع عن الاسلام بدلائل العلم ، ونعلم أيضاً انهم كانوا يناقشونه مناقشة علمية

في فهمه الشاذ الذي نذكر قريبا كيف تدرج فيه ، ولم يكونوا يثنون عليه بمثل مانقل الينا من ثناء الاستاذ الاكبر شيخ الازهر عليه في محفل من المهنئين له بالرياسة ، ولا كانوا يعرفون منه كل هذا الالحاد الذي قاءه في هذه الحواشي الجديدة . ويافضيحة الازهر ان كان هؤلاء يوافقونه فيها ، وإني لأشهد انهما انكرا أمامي كل ما أنكرته عليها

لهذا كله افترص هذا المبتدع ما نشرته الاهرام من حديثي الشيخ لاعلان تفسيره هذا واتهامه فيه وتهديده له ، وصرح بما نشره في الاهرام وغيرها بانه مبطل للحكومة الحاضرة بدلائل القرآن، وانه سيبين هذا للناس . ومن المعروف عنه انه من غلاة أنصار الوفد ، وقد سبق تأييده له من طريق الدين ، بما فيه تحريف ظاهر للقرآن المبين، وهو يرجو أن يكافئه الوفد اذا عادت له الكرة المرجوة إلى الحكم ، ولهذا تجرأ على تهديد شيخ الازهر في رده عليه ، وسنبين خطأ ظنه في موافقة الوفد له على إلحاده [illegible] بالباطل

صفة الالحاد الجديد [illegible] القرآن

لهذا الضعف الذي وبدا لي في مقاومة شيخ الازهر لهذا الالحاد ولما رأيته من الضعف فيما نشر في الجرائد من انكار هذا الافساد ، وجب علي أن أبادر إلى بيان ماينبغي أن يعلمه المسلمون في هذه الفتنة الجديدة ، بما لاتحوم حوله الشبهة ، ولا تدنو من قائله الظنة ، وأنشره في الاهرام قبل نشره في المنار، وقبل أن يكثر أنصارها من الجاهلين وأصحاب الاهواء الالحادية والسياسية . فأقول :

(أولا) ان هذه الحواشي (الهوامش) القليلة المبهمة لا يصح أن تسمى تفسيراً بوجه من الوجوه و خاصة ماسماه « تفسير القرآن بالقرآن » فانه على اعتماده فيه على فهمه الشاذ المخالف للغة والشرع - وهما مادة كل تفسير - يحيل فيه عند أكثر الآيات التي يكتب شيئاً بإزائها على آيات متعددة وعلى سور كثيرة لايمكن أن تكون بمعنى الآيات أو الآية التي جعلها مفسرة لها ، وقصاراه أن يكون في بعضها مسألة منها ، وأكثر الآيات لايفسرها بشيء .

وقد فتحت المصحف الآن لاجل كتابة شاهد على ماقلت فجاءت أمامي

سورة الجن فاذا هو قد كتب في حاشيتها ما نصه :

(٦ـ١٠) اقرأ الصافات وتدبرها آية آية ثم الاعراف إلى ٣٨ و ٣٩ وما بعدها إلى آخرها ثم سبأ وغافر وابراهيم ، الانعام ويس والشعراء ـ ثم الاسراء والكهف والحجر والرحمن والنمل وفصلت والذاريات وأواخر الاحزاب ـ ثم هود والسجدة والناس ـ ثم الفاتحة ثم ١٤٦ و ١٦٥ ـ ١٦٧ في البقرة . بعد هذا تفهم انه يطلق الجن والجنة على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين ، ويعبر عن الانس بسائر الناس المقلدين ، والتابعين المستضعفين اه بحروفه

هذه الحاشية تقنع كل من له مسكة من العقل ، أن كاتبها ليس له مسكة من العقل ، ولا شمة من العلم ، وانه لا يفهم ما يكتبه هو فكيف يفهم كلام الله تعالى الذي يتوقف فهمه على اتقان اللغة العربية ، وسعة العلم بالعلوم الشرعية ، وهو لم يؤت منها شيئاً له قيمة . أمر من يلقبه الله تعالى برؤية (هوامشه) أن يقرأ عشرين سورة من السور الطوال والمئين وطوال المفصل ووسطه وقصاره بترتيب [illegible] ثم بقراءة ثلاث آيات من البقرة بعد قراءة الفاتحة وقال : « بعد هذا تفهم انه (أي الله عز وجل) يطلق الجن والجنة على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين ، ويعبر عن الانس بسائر الناس المقلدين ، والتابعين المستضعفين »

ان في هذه العبارة من ضروب الجهل ما يربأ الانسان بكرامة نفسه ويضن بقيمة وقته أن يضيع شيئاً منه في شرحها وبيانها ، اذ لا يوجد عامي ولا غامي يتوهم أن فيها شبهة على دعواه فنحاول ردها رحمة به ، وحسب الأمي أن يفتش في سورة الفاتحة التي يحفظها كل مسلم عن صحة دعواه التي لا تعرف في اللغة اسماً ولا وصفاً يليق بها . وانما ذكرني ذكره الفاتحة فيها ما استنبطه غلام احمد القادياني مسيح الهند الدجال من الدليل منها على مسيحيته ، وما استنبطه منها اتباعه من بقاء النبوة والوحي بعد خاتم النبيين ، بل دعوى هذا المفسر الجديد أبعد عن اللغة العربية من دعوى اولئك الاعجميين لانه أجهل بها منهم

وأقول (ثانيا) إن ما ذهب اليه من تحريف آيات الله في الجن كما رأيت آنفا

وفي الملائكة وفيما أيد الله به رسله من الآيات الكونية كعصا موسى واحياء عيسى الموتى وابرائه الاكمه والابرص باذن الله تعالى وغير ذلك وزعم ان هذا من فهم القرآن الذي تقتضيه علوم هذا الزمان . قد سبقه اليه ملاحدة الباطنية منذ أكثر من الف سنة ، فليس هو مما أفاضته عليه فلسفة هذا العصر وعلومه المادية في شيء ، وعهدنا به أنه لايعرف من هذه الفلسفة ولا من هذه العلوم شيئاً الا ماقد يراه في بعض الصحف وقلما يفهمه . وقد كان اولئك الباطنية ممن حذقوا الفلسفة الطبيعية والعقلية والعلوم الرياضية ، واتقنوا علوم اللغة العربية ، كما يرى القارىء في كتاب رسائل اخوان الصفا من كتبهم ، ولذلك انخدع كثير من المتعلمين بدعايتهم التي أرادوا بها تحويل الناس عن دين الاسلام بالانتقال البطيء من درجة في التأويل لنصوص القرآن والحديث الى درجة، وليعاجوهم بتصدم دفعة واحدة

ما اظن ان هذا الباطني الجديد قرأ شيئاً من كتبهم فسرت اليه دعوى الالحاد منها . فالذي أعلمه انه لا يعني بمطالعة الكتب القديمة ولا الحديثة، ولكن لا يبعد أن يكون قد لقي بعض دعاة البابية البهائية الذين ينشرون دعوتهم في مصر وفلسطين وسورية، وكانوا ممنوعين من ذلك في عهد الدولة العثمانية [1]

ومما ينقل عنهم ان المراد بعصا موسى ما آتاه الله من القوة الروحية، ومن إحياء عيسى الموتى إزالة جهل موتى القلوب بالعلم والتهذيب ، ولكنهم مع هذا يدعون ظهور لاهوت الرب في ناسوت المسيح عيداً لمثل هذا في معبودهم البهاء، ولهذا قلت في العنوان إن الدين الجديد الذي يبث دعايته مفسر دمنهور الجديد هو وسط بين الباطنية والاسلام

وأقول (ثالثاً) ان مايوجد في بعض هذه الحواشي وفي مقدمتها من المسائل الصحيحة في الجملة كسنن الله تعالى في خلقه ، وتعظيم القرآن لشأن العلم والعقل والبرهان ، وهدمه لتقليد الآباء والاجداد في الايمان وأصول الدين ، وخطابه للامة بما يجعلها به متكافلة في تربيتها وسياستها وآدابها — وجعله حكومة الامة شورى بين اولي الامر وأهل الحل والعقد منها — وتكريمه الانسان واعلائه لشأنه بالتوحيد والعلم وعزة النفس ـ وجعله الجزاء على الاعمال بقدر تأثيره في تزكية النفس ـ وموافقته لمصالح البشر في كل زمان ومكان لانه دين الفطرة

المشكل لها الجامع بين مصالحها الجسدية والروحية - ان مايوجد في مقدمته وبعض حواشيه من هذه القضايا جله أو كله مأخوذ من تفسير المنار ومن مجلة المنار أيضاً - يعلم ذلك كل من يقرأها ، ولكنه قد وضع بعض هذه القضايا في غير مواضعها وحرف كثيراً من الآيات عن مواضعها لادخالها فيها ، وسأبين هذا بالشواهد في مقال آخر. ومنه يعلم انه ربما لا يوجد في تفسيره كلمة حق قد انفرد هو بها

ومن شاء أن يطلع على مآخذها صحيحة غير محرفة ولا مخالفة لقواعد الدين ولا لفصيح اللغة ، فليراجعها في مظانها من فهارس أجزاء التفسير العشرة ، كلفظ سنن الله ، وسنن الاجتماع ، والاسلام ، والقرآن ، والجزاء ، ولا سيما الفصول التي نلخص بها مسائل كل سورة في أبواب أصول الدين وفروعه وقواعد الاجتماع وسنن العمران



تنقل هذا الملحد في الالحاد بالتدريج

وأقول (رابعاً) ان هذا الرجل قد عرف بالولوع بالشذوذ وحب الشهرة في مخالفة جماعة المسلمين في أمور لهم في بعضها وجه ما من المسائل العلمية ، ثم فيما ليس له وجه حق في مخالفة العقائد القطعية ، وتحريف نصوص القرآن الاجماعية ، فأول ماعرف به من ذلك أنه لا يكاد يصلي إلا بنعليه ، والصلاة بالنعلين جائزة إذا كانتا طاهرتين او خاليتين من الخبث ولكنها ليست واجبة ، وهي في الغالب منافية للنظافة ان لم تقل للطهارة ، وانما كانوا يصلون بنعالهم في العصر الاول لانهم كانوا يصلون على التراب ، لا على الحصير أو البساط . ثم حكي لنا عنه أنه لا يتوضأ في السفر ولو من بلده الى غيرها من بلاد وطنه ، بل يصلي بالتيمم دائماً مع وجود الماء ، وانما التيمم رخصة بشرطه لا عزيمة

ثم انه لما زار المدينة المنورة وعاد منها إلى مكة سنة ١٣٤٤ لاجل أداء فريضة الحج لم يحرم من ميقاتها الذي كان يحرم منه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهو ذو الحليفة ، فشذ دون جميع من كان معه من المسلمين. ولا حاجة إلى بسط

شبهه والجواب عنها هنا وقد شددت عليه النكير فيها بالمشافهة في وقتها

ثم اننا سمعناه يرفع عقيرته في المؤتمر الاسلامي العام في مكة المكرمة في مسألة عملية ظننت انها شذوذ جزئي من جهله بالفقه ، ثم تبين الآن انها فرع لأصل من أصول دينه الجديد، ذلك أنه عند مابحث أعضاء المؤتمر في اقتراح انشاء سكة حديدية بين جدة ومكة المكرمة تؤخذ نفقاتها من ضريبة يفرضها ملك الحجاز على الحجاج وامتنع الملك ابن السعود من ذلك بانه لايحل له فرض هذه الضريبة — ادعى هو انه يحل له ذلك لانه اصلاح، و« الاسلام لايمكن ان يمنع الاصلاح » فأخذ يرفع عقيرته ويصيح في المجلس بهذه القاعدة التي لا تدل على جواز اكراه الملوك للناس على دفع أموالهم لامتثال هذا الاصلاح ، وقد بسطت حكم الشرع في هذه المسألة في المؤتمر بما لم ينكره أحد من أعضائه كما أنكروا عليه قاعدته المخترعة، وكان الاستاذ الظواهري من حاضري تلك الجلسة

ثم جهر في نادي جمعية الشبان المسلمين بتحريف كلام الله تعالى في مسألة عرش ملكة سبأ فقام الناس في وجهه وأهانوه

ثم ألف رسالة في الزوابع أنكر فيها [illegible] بما هو أبعد عن اللغة والشرع والتاريخ من كل تلك الجهالات وهو مما خالف فيه الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة ، وقد احتدمت في انكاري عليه حتى لم يعد يزورني منفرداً

ثم كتب مقالة ونشرها في جريدة من جرائد الوفد الشهيرة أراد التقرب بها اليه والزلفى عنده بأقبح من كل ماتقدم من الجرأة على العبث بكلام الله تعالى جعل عنوانها قول الله عز وجل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) أراد ان يثبت فيها ان الآية تصدق على جماعة الوفد الذين ذهبوا إلى لندن للمفاوضة في عقد المعاهدة بين مصر وانكلترة ، وسخر فيها من علماء المسلمين في تفسيرهم للتقوى ، كما سخر من أئمة الحديث والتفسير في رواية سحر اليهود للنبي ﷺ فعبر عنهم بوصف المسلمين بما يشعر انه ليس منهم ، ولا يليق بمن يطالب بحرية الرأي والفهم أن يسخر من هؤلاء الأئمة فيما يخالفهم فيه .

وبلغني انه كان يكلم بعض انصار الوفد الذي رآه يستحسن مثل هذا

الالحاد والتحريف لكتاب الله في مكافأة الوفد له على هذه الخدمة ، فاجابه بأنه يجب عليه أن يصبر لأن حالة الامة الاسلامية الآن لاتساعد على ذلك

فهذا الاستدراج الذي ذكرناه هو الذي جرأه على ان يطبع كتاب الله مسخا حواشيه بما ذكرنا وبما هو ابعد في الضلال وأوغل في الالحاد من كل ما ذكر ، وعلى ان يهدد فضيلة شيخ الازهر بأنه انما أمر بمصادرته لما فيه من التصريحات السياسية المخالفة لحكومة مصر الحاضرة

ثم ان فيه شيئا كثيرا مما ذكره بعضه صحيح وبعضه باطل والقصد منه سياسي ظاهر ، وهو أن يجعله الوفد عند ما تعود السلطة اليه إمام المسلمين في دينه الجديد ، الذي يتوهم انه هو الموافق لحال هذا العصر والواقع انه إلحاد قديم

وأنا اعتقد انه هو القاضي على جميع آماله هذه ، فان اكبر زعماء الوفد من المسلمين متدينون فعلا لا سياسة يصلون ويصومون ويدينون الله بما هو مقرر في كتب أهل السنة والجماعة من العقائد والعبادات ، وفي مقدمتهم الرئيس الجليل مصطفى باشا النحاس ، ومحمد نجيب باشا الغرابلي ، وفتح الله باشا بركات ، وحمد باشا الباسل ، وكل منهم [illegible] على الامة وغيرها ماليس له . فكيف يرضى أحد منهم أن يجعله اماما له ، أو يجهل أن تكريمهم إياه يسقط مكانتهم من نفوس الامة ؟

وأقول (خامسا) ان أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق الاسلامية مجمعون على أن من جحد شيئا مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة يحكم بكفره وارتداده عن الملة الاسلامية ولا يقبل منه تأويل إلا إذا تاب وأناب

وفي هذه الحواشي عدة مسائل جحد كاتبها فيها ما ذكر ، ومهد لها السبيل وقدم لها الاحتجاج بما ذكره في مواضع كثيرة من حرية الاعتقاد ، ولكن حريته في اعتقاده لاتمنع علماء المسلمين أن يبينوا لهم ان عقيدته غير عقيدتهم ، وأن يجبروا الحكومة على منعه أن يشوه كتاب الله وينشر تحريفه بينهم ، ولا يمكن لأية حكومة مصرية أن تخالفهم في هذا ، ولا يرضى أحد من زعماء الوفد المسلمين بهذا ، وأما القبط منهم فلا يعرضون لهذه المسألة بوجه من الوجوه

جحد هذا الملحد للمجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة

وأقول (سادسا) ان أفظع ما خالف به إجماع المسلمين فيما هو معلوم من دين الله بالضرورة إجازته عصيان رسول الله ﷺ بالرأي والمصلحة فيما كتبه عند قوله تعالى (٢٤: ٦٣ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا. قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) فقد كتب عندها ما نصه:

(عن امره) يفيدك ان المخالفة المحظورة هي التي تكون للاعراض عن امره وأما

التي تكون للرأي والمصلحة فلا مانع منها بل هي من حكمة الشورى اهـ بحروفه. فاطلاقه جواز المخالفة للرسول بهذه العلة يشمل السنن العملية والقولية القطعي منها والظني

فهذه القاعدة من قواعد هذا الدين الجديد تبطل من قواعد الاسلام وجوب تقديم النص على الرأي والاجتهاد المتفق على الرأي ودعوى المصلحة ، وجميع علماء القوانين الوضعية موافقون المسلمين فيها . (على أنه يعني بالرأي الهوى لا القياس الفقهي لانه لا يعرفه) ومن فروع هذه القاعدة ما رفع به عقيرته في المؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة ، وهو يقتضي أن كل ما أخذه اسماعيل باشا من أموال الامة المصرية بأنواع الضرائب والمغارم كان جائزاً شرعا لانه أخذه باسم اصلاح مصر وجعلها مدينة أوربية ! !

ومما يتعلق بطاعة الرسول ﷺ وخالف فيه المسلمين قوله في تفسير (٤: ٥٩ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) ما نصه (ص ٦٨)

« جعل أولي الامر مع الرسول في الطاعة لاعتباره رئيس حكومة شورية تنفذ قانون الله ، وكل رئيس ينفذ حكم الله له هذه الطاعة »

والمقرر عند المسلمين ان الرسول ﷺ انما يطاع لرسالته لا لرياسته ، وهو مقتضى تعلق الحكم بالمشتق ، فقد كانت طاعته واجبة منذ بعثته وقبل ان تكون لامته حكومة ، وهي عامة فيما يتعلق بمصالح الحكومة وما لا يتعلق بها ، فلو أمر

أي مؤمن أمراً خاصا بشؤونه الشخصية وجب عليه امتثال أمره . وقد قال الله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وليس لكل رئيس حكومة هذه الاولوية.

وقد سبقه بعض الملاحدة الى ادعاء ان طاعة الرسول (ص) أنما كانت واجبة لانه رئيس الحكومة وأن هذه الطاعة قد سقطت بعده ، وأنها واجبة لكل رئيس حكومة من ملك أو أمير أو سلطان

وكان بعض رجال النيابة المصرية ألقى محاضرة في هذا الموضوع منذ بضع عشرة سنة قرر فيها ان السنة النبوية كانت شريعة مؤقتة خاصة بعصر الرسول (ص) الخ ورددت عليه رداً مفصلا في مجلة المنار . والمشهور عن هذا المفسر الجديد أنه لا يحتج بالسنن القولية ، وقد ظهر من تفسيره هذا انه لا يبالي بالسنن العملية أيضاء وقد احتج عليه الشيخ عبد الجليل والشيخ العدوي باقامة النبي ﷺ حد الزنا على ماعز والغامدية باعترافهما به مرة واحدة ، فلم تمنعه ذلك من اصراره على القول بأن الحد لا يقام الا على من اعتاد الزنا وأصر عليه واشتهر به

ومما أجمع عليه المسلمون وعلم من الدين بالضرورة الآيات الكونية التي أيد الله تعالى بها رسله عليهم السلام على ظواهرها من نصوص القرآن وكذلك ما في معناها من آيات الله التي وردت في القرآن مطلقة وهو يحرف تلك الآيات كلها بما هو جحد صريح لما أجمعوا عليه ولا يحتمل النص سواه وشبهته في هذا كله أن ظواهر هذه الآيات مخالفة لسنته تعالى في نظام الخلق ، وهو يتأول الآيات القطعية الدلالة في ذلك بما تتبرأ منه اللغة والتاريخ واجماع أهل الملل كاليهود والنصارى مع المسلمين . وهذه المسألة قد ذكرها كل من رد على هذا الالحاد اجمالا ، وذكرناها في المقولة الآتية من مقالنا هذا عرضا ، وسأذكر عبارته في عصا موسى واحياء عيسى الموتى وابرائه الاكمه والابرص باذن الله وفي قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) مع أدلة بطلانها لغة وشرعا وعقلا وتاريخا . وأبين جهله بمعنى سنن الله تعالى ، وبمعنى كونها لا تبديل لها ولا تحويل ، وألزمه الحجة بما يعرف في العالم بالمشاهدة في كل زمن من وقوع أمور مخالفة للسنن المعهودة في نظام الخلق ، ومنها ما قرأناه اليوم في بعض الصحف من ولادة امرأة في اسبانية بضع بنات سليمات الابدان ، وغير ذلك مما يسميه اللاديون

«فلتات الطبيعة» دع جهله الذي حمله على تقييد قدرة الله ومشيئته وحكمته بما يسميه هو أو غيره من الناس سنناً الهية أو طبيعية وجهله بكون واضع السنن هو فوق السنن.

وأختم هذا المقال المجمل بأن ما انفرد به من هذه الحواشي التي سخم بها المصحف الكريم هو مجموعة جهالات وسخافات يظن أن ما مهدها من تجهيل الامة الاسلامية من عصر النبوة الى هذا العصر وزعمه انه لم يفسر القرآن منهم أحد تفسيراً صحيحاً، وان هذه النقية قد ادخرت له – سيتلقاه كثير من الناس بالقبول، ويكون به مؤسس دين جديد بين البهائية والاسلام، وان الوفد المصري سيرفع به قدره بين الانام، وقد ظن مثل هذا الظن من سبقه الى انكار حكومة الاسلام، وهو يفوقه بشيء من أدب اللغة وخلابة الكلام، فخاب ظنه، وسيكون هو أشد خيبة وأسوأ عاقبة منه

وأدعوه بعد هذا البيان الوجيز الى التوبة الى الله تعالى والبراءة من هذا الالحاد، وأنبهه بأن الباطنية قد ألفوا كتباً كثيرة، وأسسوا جمعيات قوية، وسفكوا دماء غزيرة، بل أسسوا خلافة ودولة في مصر وغيرها (دولة العبيديين التي اسست الجامع الازهر والمشهد الحسيني) وكان ذلك كله لإقناع المخدوعين بتأويلاتهم الباطلة للقرآن فخاب سعيهم، وحفظ الله كتابه على إلحادهم، وقد بقي لهم أتباع في غير مصر التي كانت مركز خلافتهم، فهل يمكن ان تتبع مصر مثله فيما هو أسخف من تأويلاتهم، ولا قوة له في علم ولا حكم، ولا عصبية ولا مال ؟ كلا فليعتبر بتلك العاقبة، وإلا فلينتظر سوء الخاتمة، وخسران الدنيا قبل الآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وإني له لمن الناصحين، والعاقبة للمتقين.

المقالة الثانية

السرقة والتزوير، في دعوى التفسير

وعدت في المقال الاول الذي نشرته الاهرام بأن أبين في مقال آخر ان ما أورده هذا الملحد في مقدمة (هوامشه) من مزايا القرآن الصحيحة قد سرقها كلها من تفسير المنار، ثم ادعاها لنفسه بالزور والبهتان، وجعلها في المقدمة لاجل

الاعلان ، وإيهام الناظر فيها انها مما فاق به جميع المفسرين من (الهداية والعرفان) إذ زعم انهم هدموا بتفاسيرهم جميع أصول القرآن (كما في الصفحة الثانية منها) وقد قال الرسول ﷺ وهو الذي أوجب الله اتباعه لرسالته ، لا لرياسته كما زعم هذا الملحد المبيح لمخالفته ، « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » متفق عليه

وقد كان من رأيي الذي أفضيت به إلى فضيلة شيخ الازهر أن لا ينشر عن هذه الضلالة والجهالة شيء في الجرائد يشعر بأن لهوامشه قيمة أو تأثيراً ولو في الكفر ، لئلا يكون ذلك وسيلة لاعلانها ، وما يبغيه مبتدعها من الشهرة والربح منها ، ولاجل هذا وحده لم أسبق غيري الى الرد عليها ، وأرجو أن تكون مقالتي الاولى كافية لاقناع من قرأها بأن هذه الهوامش التي سميت تفسيراً للقرآن بالقرآن ليس فيها من حقيقة هذه التسمية شيء ، فلا هي مساعدة للمسلم على فهم القرآن ، ولا قوية التأثير في تشكيكه في الايمان ، ولا هي تصلح بحذقها شبهة للملحدين والمبشرين على الصد من الاسلام ، لان ما فيها من التحريف سخيف لا يقبله الخواص ولا العوام ،

ولكنني أخشى أن يظن من يطلع على مزايا القرآن في مقدمتها ان تلك الهوامش شرح لها ، وانها مما امتاز به على غيرها ، فيرتكب جريمة اقتناء هذا المصحف المشوه المحرف لاجلها . فانا ابين في هذا المقال بعض المواضع التي سرقها منها ، ليعلم الناس بطلان ما اوهمه في مقدمته ، وما صرح به لمندوب الاهرام في حديثه الذي نشره له ، من انه لم يعتمد في فهمه القرآن على تفسير أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين ، وإنما هو علم استفاده من نظره وسياحاته في العالمين . . .

ولا ادري ما حكم هذه السرقات الكثيرة في دينه الجديد؟ هل تثبت بها الجريمة العلمية الادبية عليه لتعدد ما ارتكبه منها كما قال في حكم الزاني والسارق؟ أم هي مباحة عنده وان كان مرتكبها كاذبا في دعواه ، ومزوراً غاشا للناس؟

شر آرائه الالحادية في مقدمة تفسيره

كل ما في مقدمته من معنى صحيح قبل ذكر المزايا وبعدها فهو مسروق من تفسير المنار أيضاً ولكنه مقترن ببعض آرائه الفاسدة وقواعد دينه المبتدع او التمهيد له ، وشره وأعرقه في الافتراء وابطال ثقة المسلمين بدينهم ما يأتي :

(ا) قوله : « وقد بلغ الدس والحشو في التفاسير انك لاتجد أصلا من أصول القرآن الا وتجد بجانبه رواية موضوعة لهدمه وتبديله » وقد فرع على هذه الفرية الطعن بجميع المفسرين وكتبهم ، وكتب اللغة التي يعتمدون عليها

(ب) زعمه انه قرأ في بعض المسائل خمسين تفسيراً فرآها كلها متفقة يرجع أصلها « الى رواية مكذوبة أو رأي ميت لايصح أن يكون تفسيراً لكلام الله » وقد اثبت قبل هذا ان من عيوب التفاسير رد بعضها على بعض ، فاذا اتفق مع هذا خمسون منها على بعض المسائل لرواية عن النبي ﷺ أو بعض الصحابة صحت عندهم أو رأي لبعض الأئمة قوي دليله — فكيف يقبل المسلمون طعنه فيهم كلهم وزعمه ان الرواية مكذوبة وهو من أجهل الناس بعلم الرواية ، أو زعمه ان رأي من مات من أئمة المفسرين لايصح أن يكون تفسيراً للقرآن ؟ وهل كتب تفسيره هو ليعمل به الناس ما دام حيا فقط ؟

(ج) زعمه ان [illegible] كون القرآن [illegible] هو [illegible] لاختلاف الآراء والانظار في كل زمن أي انه من [illegible] المعاني [illegible] » وهذا الاطلاق فاسد لانه يشمل العقائد وأصول الدين وحدود الله وقواعد احكامه ، وهي كلها قطعية ومقتضى كلامه انه ليس فيها شيء قطعي ، وهو يناقض قوله في حاجة الناس إلى الدين . واما الذي قررناه في التفسير ولم يفهمه فهو أنه يوجد في القرآن آيات في الخلق والتكوين والادب والتاريخ وغير ذلك تحتمل كل منها معاني قد يظهر منها في كل زمان مايدل على انها من عند الله تعالى ، وتجد بيان هذا في الوجه السابع من وجوه إعجاز القرآن (صفحة ٢١٠ جزء أول)

(د) زعمه انه لايضر الناس اختلافهم في فهم القرآن « ماداموا يرجعون إلى المحكمات من الاصول والامهات ، أي يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات » فقد حصر أصول الدين المحكمة في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، ولم يجعل منها الايمان بالرسل وما أيدهم الله به من المعجزات ، وغيرها من أصول العقائد وقواعد الاحكام . وهذا أصل من أصول دينه الجديد الذي يريد به هدم الاسلام .

أكتفي الآن بهذه الاباطيل مجملة ، وأذكر عبارته في المزايا العشرين بلفظه على ما فيها من الضعف والادماج والتكرار ، وأبين بعض مآخذها من تفسير المنار بالاختصار ، وأتحرى ان يكون أكثر الشواهد على هذه المآخذ من الجزء الاول منه . فأقول :

(مزايا القرآن العشرين من مقدمته مميزة بوضع خطوط فوقها)

---

(١) بلاغة الاسلوب الذي يقوم به الانسان لسانه وقلمه ، وبه يبلغ ما يريد من نفس السامع اه

هذه المزية مقتضبة من بحث بلاغة القرآن في الصفحات ٢٠١ و٢٠٢ و٢٣٠ من جزء التفسير الاول . ومنها قولنا في آخر ص ٢٠٢ وأول ما بعدها

« الحد الصحيح للبلاغة في الكلام هي أن يبلغ به المتكلم ما يريد من نفس السامع باصابة موقع الاقناع من العقل ، والوجدان من النفس » !!

---

(٢) خطاب جماعة الامة في الاحكام الاجتماعية بما يجعل الامة متضامنة في الاعمال فيظهر مسؤوليتها وتقرير سلطتها اه

بينا هذه القاعدة في مواضع من تفسير المنار فأنت ترى في فهرس الجزء الاول منه (الامم) تكافلها ووحدتها ص ٣٠٩ و ٣٢٢ و ٣٨٤ الخ ومما جاء في ص ٣٢٢ ما نصه : وما جاء الخطاب بهذا الاسلوب إلا لبيان معنى وحدة الامة واعتبار ان كل ما يبلوها الله من الحسنات والسيئات ، وما يجازيها به من النعم والنقم ، انما يكون لمعنى موجود فيها يصح أن يخاطب اللاحق منها بما كان للسابق كأنه وقع به ، ليعلم الناس ان سنة الله تعالى في الاجتماع الانساني أن تكون الامم متكافلة يعتبر كل فرد سعادته بسعادة سائر الافراد وشقاءه بشقائهم ، ويتوقع نزول العقوبة به اذا فشت الذنوب في الامة وإن لم يواقعها هو (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وهذا التكافل في الامم هو المعراج الاعظم لرقيها ، لانه يجعل الامة التي تعرفه على التعاون على الخير والمقاومة للشر فتكون من المفلحين

---

(٣) تعقيب الآيات بما يناسبها من صفات الله كعليم وحكيم الخ

راجع هذه المسألة بعينها في ص ٤١٦ من الجزء الاول ، ولو شئت لذكرت نصها ونصوصاً أخرى من غيره ، ولكن جمع المفسرين يبينون هذه المناسبات

(٤) تعظيم شأن العقل وجعله أساساً لفهم الاحكام وسير الامور والاعمال اه

هذه القاعدة مبينة في مواضع كثيرة من تفسيرنا وقد قلنا في بيان الاصول والقواعد الشرعية العامة المستنبطة من سورة البقرة من الجزء الاول ص ١٢١ مانصه :

(القاعدة ٣٣) بناء أصول الدين في العقائد وحكمة التشريع على ادراك العقل لها واستبانته لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد ، وسد ذرائع الفساد الخ - وذكرت بعض آيات الشواهد . وفي ص ٢٥٠ منه مانصه : ولذلك جاء القرآن يلح أشد الالحاح بالنظر العقلي والتفكر والتدبر والتذكر ، فلا تقرأ منه قليلا إلا وتراه يعرض عليك الاكوان ويأمرك بالنظر فيها ثم ذكرت فيه بعض آيات الشواهد

(٥) اعلاء النفوس واعزازها بتوحيد الله وعدم الذلة للمخلوق اه

هذه القاعدة مبينة في مواضع كثيرة جداً من أجزاء تفسيرنا أولها في تفسير (إياك نعبد وإياك نستعين) من الجزء الاول قولنا (ص ٦١)

ما أفاده الحصر من وجوب تخصيص الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك (أي ماقدمناه من استفراغ القوة في الاستقلال من طريق الاسباب) وهو روح الدين وكمال التوحيد الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الاغيار ويفك ارادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين ، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم من قيد المهيمنين الكاذبين ، من الاحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً وسيداً كريماً ، ومع الله عبداً خاضعاً (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) الخ

(٦) تقرير حرية الاعتقاد والقضاء على الرياسة الدينية حتى يكون الخضوع في الدين لله بوازع من النفس لا بالضغط والاكراه اه

هاتان مسألتان لامسألة واحدة . فأما حرية الاعتقاد ومنع الاكراه في الدين

فقد بيناها في عدة مواضع وذكرناها في قواعد سورة البقرة العامة بقولنا في (ص ١١٦ من الجزء الاول)

(القاعدة العشرون) حرية الدين والاعتقاد ومنع الاضطهاد الديني ولو بالقتال حتى يكون الدين كله لله ، ومنع الاكراه على الدين» الخ وفيه بعض آيات الشواهد على القاعدة

وأما مسألة القضاء على الرياسة الدينية فانما تصح اذا أريد بها سيطرة رجال الدين الرسميين على الناس في فهمهم للدين كما هو معهود في بعض الملل وهذه مبينة في مواضع كثيرة من تفسير المنار ومجلة المنار ومنها ماذكرناه آنفاً في مأخذ المزية الخامسة مما ذكره هو . وقد بسطها الاستاذ الامام في (كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)

---

(٧) رفع شأن الانسان بالمساواة بين جميع الطبقات وجعل الامتياز للأتقى اه

هذه المسألة [illegible] في مقدمة التفسير (ص٢٩) من بيان أخوة المسلمين من جميع الاجناس وفيها الاستشهاد بآية الحجرات (١٣:٤٩ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقول النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع «يأيها الناس ألا ان ربكم واحد ، لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لاسود على أحمر ، ولا لاحمر على اسود إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ألا هل بلغت؟» قالوا بلى يارسول الله . قال «فليبلغ الشاهد الغائب» وذكرنا بعد هذا ماحدث من العصبية الجنسية في المسلمين وما كان من مفاسدها

---

(٨) هدم التقليد الذي يقضي على استقلال الفكر ويضعف الاستعداد الفطري في البحث والاستنتاج)

قد حققنا هذه المسألة في مواضع كثيرة من أجزاء التفسير ومن المنار أيضاً . وجعلنا القاعدة الثالثة عشرة من قواعد سورة البقرة (ص١٠٤) فتجد في فهرس

الجزء الاول منه مانصه: التقليد : بطلانه وذمه، صفحة ٢٤ و ٣٢ و٦٨ و١٠٨ و١١٤ و١٧٣ و١٧٨ و ١٨٠ و٢٠٣ و٣٠٦ و٣٩٥ و ٤٢٥ و٤٢٩ و٤٤٨ و٤٨٩ و ٤٩١

التقليد التجرد منه لطلب اليقين بالبرهان ٤٤١

« كونه كفراً بنعمة الفطرة والدين وخروجا من نورهما ١٨٥ و ٣٩٥

---

(٩) الجزاء على العمل بمقدار تاثيره في النفس لا بالفدية والشفاعة اه

هذه المسألة ما رأيت احداً سبقني إلى بيانها بمثل مابسطته في مواضع كثيرة من التفسير منها ما ذكر مع مسألة الشفاعة والفداء ومنها ما ذكر مع تفسير آيات أخرى ليست مقرونة بعدم الاتكال على الشفاعة والفداء . ومن الاول تفسير قوله تعالى (٢ : ٤٧ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) وهو في ص [illegible] من الجزء الاول وما في معناها وهو آية (١٢٣)

ومن الثاني تفسير (ووفيت كل نفس ما كسبت) من الجزء الثالث ص٢٦٨) بما نصه : بأن رأت [illegible] الجزاء ، ومناط السعادة أو الشقاء ، دون الانتماء الى دين كذا ومذهب كذا او الانتساب الى فلان وفلان من النبيين والصالحين . ألا انهم يرون يومئذ ان الجزاء يكون بشيء في داخل نفوسهم لامن شيء خارج عنها ، يكون بما أحدثته اعمالهم فيها من الصفات الحسنة او القبيحة ومقدرة بقدر ذلك . الخ

---

(١٠) بيان السنن العامة وهي النواميس والانظمة الطبيعية . بالبحث فيها

يفهم القدر والميزان ، وينكشف العلم ويزداد الايمان اه

هذه المسألة مما امتاز بها تفسيرنا أيضا وتجدها مفصلة في كل جزء منه

ففي فهرس الجزء الاول وحده مانصه :

سنن الله المطردة في الكون ـ ص ٢٣ و٣٦ و ٥٨ و٦١ و٧١ و٢٤٢ و٢٥٩ و٣٤٤ و ٤١٣ و٤٢٣

سنن الله في نظام الاجتماع البشري ١١ و ٢٤٢ وما بعدها و ٣٣٦ و ٣٤٤

وما سنن الله تعالى في الكائنات التي يفهم منها معنى القدر فهي مكررة فيه ، وقد جعلناها الاصل السادس من الاصول العلمية والعملية في تلخيص سورة الانفال ، وتجده في صفحة ٢٨٦ من الجزء الثامن ، وراجع في هذا الجزء وزن الاعمال أيضاً (ص ٣١٩)

(١١) هيمنته على الكتب بالحكم على الابحاث الفلسفية وتقرير الصحيح من المذاهب وجمع الناس كلهم على طريقة مرضية تجمع خلاصة الكتب ولا تفرق بين أحد من الرسل اهـ

هيمنة القرآن على الكتب الالهية من أعظم مزاياه وهو نص قوله تعالى في سورة المائدة بعد ذكر التوراة والانجيل (٦: ٤٨ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) [illegible] تكلم عليها في مكانها بشيء وفي تتمة بينا حكمة اختلاف الشرائع وهي مسألة أخرى ، وقد بينا معناها في تفسير الآية بما لم [illegible] صفحة ٤١٠ ـ ٤٢٠ من الجزء الرابع) ومنع التفرقة بين الرسل مسألة أخرى بينها جميع المفسرين لأنها من أصول عقائد الاسلام

وتكلمنا على هيمنة القرآن على الكتب الالهية في مباحث اعجازه أيضا ، ومنه الفصل في الخلاف بيننا وبين أهل الكتاب ، وتحقيق الحق في مسائل طعن ملاحدة أوربة في كتابة التوراة وكتب الانبياء بعد فقدها باحراق بختنصر لهيكل سليمان ... بما لا تجد له نظيراً في غير المنار وتفسيره ، وأول موضع ذكرت فيه هذه المسألة

(النوع السابع) من اعجاز القرآن من صفحة ٢١٢ ـ ٢١٥ من الجزء الاول وآخره الفصل الاستطرادي الذي عنوانه (هيمنة القرآن على التوراة والانجيل وشهادته لها وعليهما) وهو في صفحة ٣٤٢ من الجزء العاشر

(١٢) ذكر ما فيه الفائدة والعبرة من القصص والحوادث اهـ

هذه عبارة مبهمة قاصرة يجد قارىء تفسيرنا أول بسط لها في صفحة ٣٢٧

من الجزء الاول ويرى لها شواهد متعددة في مواضعها من الاجزاء الاخرى مفصلة تفصيلا ، ومنها ما في صفحة ٢٠١ و ٤٦٤ من الجزء الثاني وما في الفصل الذي عقدناه عقب ذكر قصص الرسل من سورة الاعراف بعنوان (سنن الله وحكمه في هذه القصص وأمثالها والاعتبار بها) وهو في صفحة ١٤ من الجزء التاسع

---

(١٣) هدايته العامة وأحكامه المنطبقة على مصلحة كل شعب في كل زمان ومكان اه

هذه المزية قد بيناها في مواضع كثيرة من أجزاء التفسير ، تارة بالايجاز والاجمال ، وتارة بالاسباب والتفصيل ، مثبتين انه لا يمكن الاستغناء عن هدايته وأحكامه بما هو خير منها أو يغني عنها ، راجع في ذلك صفحة ٢٢١ — ٢٢٤ من الجزء الاول وبحث (الرجاء في اهتداء الافرنج بالاسلام) في ص ٣٥٨— ٣٦٢ من الجزء العاشر ، وفي الصفحة الاخيرة منها التصريح بمثل عبارته وقد سبقها تصريحات كثيرة ، وأما هو في حديثه الذي نشرته الاهرام ما يدل على أن سبب تحريمه لا بآية من القرآن [illegible] الرسول الذي أنزلت عليه ﷺ وأصحابه (رض) وسائر أئمة السلف هو رعاية حال الزمان والمكان تقتضي ذلك ، فهو إذاً لا يقول بظاهر هذه القاعدة بل يقول بضدها وهو انه لا يمكن العمل بأحكام القرآن إلا بما حرمها هو به حتى في الحدود القطعية

---

(١٤) تشابه معانيه ، ليتسع مجال الافهام فيه اه

قد بينا آنفا مراده الباطل من هذه الجملة ، في الكلام على مسألة حرف (ج) وهو قد قلب بها ما كتبناه في هذه المسألة في أواخر صفحة ٤٣٥ من الجزء الاول وهو : وهذا الضرب من البيان مما امتاز به القرآن على سائر الكلام ، فانك ترى فيه فنونا من الاستدراك والاحتراس ، قد جاءت في خلال القصص وسياق الاحكام ، تقرأ الآية في حكم من الاحكام أو عظة من المواعظ ، أو واقعة تاريخية فيها عبرة من العبر ، فتراها مستقلة بالبيان ، ولكنها باتصالها بما قبلها قد أزالت وهما ، أو تممت حكما ، وكان ينبغي لاهل العربية أن يقتبسوا هذا الضرب من البيان ، ويتوسعوا به في أساليب الكلام ، فان القرآن قد أطلق لهم اللغة من عقالها ،

وعلمهم من الاساليب الرفيعة ما كانت تستحليه أذواقهم ، وتنفعل له قلوبهم ، وتتحرك به أريحيتهم ، ولكنهم لم يوفقوا لاقتباس هذه الاساليب الجديدة الخ

(١٥) تكريره المسائل ومزجه القصص بالاحكام لينفخ روح الهداية بصور مختلفة والنفوس تتأثر بالشيء بمقدار تكريره وتجديد ذكره اه

هذه المسألة مما بسطته في مواضع كثيرة من تفسير المنار ولم أطلع لأحد على كلام فيها ، وأخصر عبارة لي فيها ما في صفحة ١٢١ من الجزء التاسع :

« اعلم ان وضع هذه الآيات الواردة في الترهيب والترغيب والانذار والتبشير ، في سياق الآيات الواردة في قصة أحد — هو من سنة القرآن في مزج فنون الكلام وضروب الحكم والاحكام بعضها ببعض الخ

وفي صفحة ٢٠١ من الجزء العاشر في التكرار ما نصه :

والتكرار الذي يقتضيه المقام أعظم أركان البلاغة لانه أعظم أسباب اقناع العقل والتأثير في الوجدان

(١٦) بناؤه الحكومة على الشورى وتقرير سلطة الأمة للقضاء على الاستبداد وحكم الفرد الذي يضعف الارادة ويولد النفاق والجبن اه

شرحت هذه القاعدة من قواعد التشريع الاسلامي شرحا واسعا في تفسير (وشاورهم في الامر) من سورة آل عمران (٣: ١٥٩) من الجزء الثاني (ص١٩٨) وفي تفسير آية طاعة (أولي الامر) في سورة النساء (٤: ٥٨) وهي من صفحة ١٨٠ ـ ٢٢٢ من الجزء الخامس وفيها تفصيل الكلام على أولي الامر وأهل الحل والعقد الذين يمثلون سلطة الأمة ، ومقارنة ذلك بالمجالس النيابية في هذا العصر.

وأما الاستبداد وظلم الملوك وافسادهم للأمة وإذلالهم لها فقد بسطته في مواضع كثيرة أولها ما في تفسير (لاينال عهدي الظالمين) من سورة البقرة (٢ : ١٢٤) وهو في ص ٤٥٦ ـ ٤٥٩ من الجزء الاول . ولعل آخرها ما عبرنا عنه في فهرس الجزء العاشر بقولنا (الملوك والرؤساء ، وإفسادهم للاخلاق بتقريبهم لأهل النفاق) ص ٥٣٩

(١٧) تخييره الانسان بين الانتقام بالعدل من المسيء والعفو عنه بما تدعو اليه المصلحة حتى تنتشر العزة في النفوس ، ويفوق كل امريء بما له فضله وجهاده اهـ

هذه المسألة مبينة في مواضعها من جميع التفاسير وتجدها في تفسير (فاعفوا واصفحوا) من سورة البقرة (ص٤٣٠ من الجزء الاول) وفي تفسير (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) في سورة الانفال (ص ٦٣ ج١٠) وفي مواضع أخرى منه كالمقابلة بين الاسلام والنصرانية

(١٨) نظامه الاجتماعي وتأسيسه على الفضيلة وحسن المعاملة اهـ

هذه جملة مبهمة تدخل في قواعد كثيرة من قواعد نظام الاسلام الاجتماعي التي بيناها في مواضع كثيرة من تفسيرنا ، منها تفسير آية (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وآية معاملة اليتامى بما فيه اصلاحهم ، وكلاهما في الجزء الثاني ، وفي آخرها ثماني قواعد اجتماعية في حكم الاسلام تدخل في ذلك أيضا .

ومن أهمها ما بسطناه في حكمة تحريم الربا في الجزء الثالث وهو ان الاسلام دين عدل ورحمة وفضيلة وهو في صفحة ١٠٦ [illegible] وفي صفحة ١٢٣ ـ ١٣١ من الجزء الرابع . (ومنها) [illegible] الحكومة الاسلامية وفي نظامها المالي أصلا أو استطرادا ، ومن مباحثها ما تقدم آنفا في المزيتين ١٦ و ١٧

(١٩) كتاب يؤاخي العلم ، ويسير مع الفطرة ، يقنع العقل بالحجة ، ويؤثر في النفس بالموعظة الحسنة ، اهـ

هذه أربع مسائل لا مسألة واحدة ، وقد تقدم ذكر المسألة الثالثة والرابعة منها في بيان مأخذ المزية الأولى من تحديدنا لمعنى البلاغة من التفسير ، وكذا في بيان مأخذ المزية الرابعة وهي تعظيم شأن العقل ، وهما مشروحتان في مواضعهما المناسبة من أجزاء التفسير ، وأما مؤاخاته للعلم فهي مشروحة في مواضع كثيرة من التفسير والمنار ، وفي كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية وكذا رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام ، وهو صاحب الفضل الاول في تقرير هذه الحقيقة ، وأول موضع فصلتها فيه من التفسير (الوجه السادس) من وجوه إعجاز القرآن ، وهو «عجز الزمان عن ابطال شيء منه » وفيه الرد على من زعم ان فيه

شيئاً معارضاً بشيء ثبت بدليل علمي قاطع ، وهو في صفحة ٢٠٧ من الجزء الاول ويليه الوجه السابع من وجوه إعجازه وهو « اشتماله على تحقيق كثير من المسائل العلمية الكونية والتاريخية كانت مجهولة للبشر » وترى في أول الكلام على الاسلام من فهرس الجزء العاشر ما نصه : إظهار الله إياه على جميع الاديان ، بالحجة والبرهان والهداية والعرفان ، والعلم والعمران ، والسيادة والسلطان (صفحة ٣٨٩)

وأما كونه دين الفطرة بمعنى موافقته لها ، وتقويمه إياها ، وكونه للنوع البشري كالعقل لأفراده ، فهو مبين في مواضع كثيرة أيضاً سيأتي بعضها بنصه في الكلام على المزية العشرين التالية ، وتعبير هذا السارق والمزور عن ذلك بالسير مع الفطرة مبني على زعمه الالحادي جواز تحريف القرآن ، وتغيير أحكامه لموافقة المتدعين في هذا الزمان

وقد شرح الاستاذ الامام معنى الفطرة البشرية وما كان عليه البشر قبل بعثة الرسل وشرع الدين في تفسير قوله تعالى (٢ : ٢١٢ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) الخ [illegible] حوله أحد من المفسرين ، وتجده في الجزء الثاني من التفسير [illegible]

(٢٠) كتاب يجمع بين صلاح الروح والجسد فيضمن للناس سعادة الدنيا والآخرة لهم

قد سبق فيما مر من مآخذ بعض هذه المزايا بعض الشواهد على هذه المسألة وهي كثيرة جداً جداً في تفسيرنا ، بعضها تفسير للآيات المناسبة لها وأظهرها قوله تعالى في سورة البقرة (٢ : ١٤٣ وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وهي في أول الجزء الثاني كما تقدم ـ ومنها في الشواهد ، وقد بيناها في قواعد سورة البقرة ، فجعلنا أهلها القسم الاول من المهتدين بالقرآن ثم قلنا في القواعد (القاعدة ٢٢) ان من شأن المسلمين طلب ما هو أثر لازم للاسلام من سعادة الدنيا والآخرة معاً كما تقدم في القاعدة الاولى ، وانما تتحقق الغايات ولوازم الامور بطلبها والسعي لها . فليس من هداية الاسلام أن يترك المسلمون الدنيا ومعايشها وسياستها ويكونوا فقراء أذلاء ، تابعين للمخالفين لهم من الاقوياء ، ولا أن يكونوا كالانعام لا هم لهم إلا في شهواتهم البدنية ، وكالوحوش التي يفترس قويها ضعيفها ، وهذا الجمع بين الامرين مقتضى الفطرة ، والاسلام دين الفطرة ـ ثم ذكرت بعض الشواهد

وأنت اذا نظرت كلة الدين من فهرس الجزء الاول تجد فيه بحث اقتضائه السعادة في ستة عشر موضعاً مبينة بأرقام صفحاته ، وتجد مع هذا في حرف السين (سعادة الدارين تابعة لآثار اعتقاد الانسان وعمله في تزكية نفسه)

وقد قال هذا السارق المزور في التفسير بعد هذه المزية (٢٠) مانصه :

«هذا وان القرآن بهذه المزايا جدير بالعناية ، ولتعلم ان الله تعالى سماه قرآناً ليقرأ على الدوام ، ليكون خلقا وملكة في النفس لا ليكون كالقوانين تراجع مواده عند الطلب. وان في دوام القراءة تجديد الافهام الداعية الى إحياء الموروث الهداية اه

وهذه الخاتمة مسروقة من تفسير المنار أيضاً ولكنه أساء بجعل سبب عناية بالقرآن محصوراً فيها لانه لم يتيسر له سرقة غيرها من المزايا الاعتقادية وغيرها أو لانها لا توافق دينه الجديد ، وهذا اذا كان يعلم ان قوله « ان القرآن بهذه المزايا جدير بالعناية » يدل على الحصر على انه قال في كلامه على السنة « ان القرآن دستور فيه كل شيء من أصول القوانين »

وأما المواضع التي سرقت منها هذه العبارة ، فهي في تفسير المنار كثيرة ، بل هي أول ما قررته في فاتحة التفسير من الجزء الاول ، فقد أوردت بعد البسملة آيات في وصف القرآن وهدايته في فاتحتين والنصف صفحة وقلت بعدها مانصه :

أما بعد فيا أيها المسلمون : إن الله أنزل عليكم كتابه هدى ونوراً ليعلمكم الكتاب والحكمة ويزكيكم ، ويُعدّكم لما يَعِدكم به من سعادة الدنيا والآخرة ، ولم ينزله قانونا دنيويا جافا كقوانين الحكام ، ولا كتابا طبيا لمداواة الاجسام ، ولا تاريخا بشريا لبيان الاحداث والوقائع ، ولا سفرا فنيا لوجوه الكسب والمنافع ، فان كل ذلك مما جعله تعالى باستطاعتكم ، لا يتوقف على وحي من ربكم ، وهذا بعض ماوصف الله تعالى به كتابه في محكم آياته (اشارة الى الآيات السابقة) تدبرها سلفكم الصالح واهتدوا بها فأنجز الله لهم من سعادة الدنيا قبل سعادة الآخرة ما وعدهم ... (وههنا أوردت بعض هذه الوعود القرآنية)

ولنا فتوى في حكمة انزال القرآن أوردنا فيها ٢٤ آية من أمثال هذه الآيات و ١٥ حديثا في معناها ، وهي (ص ٢٥٨ من مجلد المنار الثامن)

ثم قلت بعد زهاء صفحتين مانصه :

صلحت أنفس العرب بالقرآن إذ كانوا يتلونه حق تلاوته في صلواتهم المفروضة وفي تهجدهم وسائر أوقاتهم ، فرفع أنفسهم ، وطهرها من خرافات الوثنية المذلة للنفوس المستعبدة لها ، وهذب أخلاقها ، وأعلا هممها ، وأرشدها إلى تسخير هذا الكون الارضي كله لها ، فطلبت ذلك فأرشدها طلبه الى العلم بسننه تعالى فيه من أسباب القوة والضعف ، والغنى والفقر ، والعز والذل ، فهداها ذلك الى العلوم والصناعات الخ

ثم قلت : إنما يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينيه ووجهة قلبه في تلاوته في الصلاة وغيرها ما بينه الله فيه من موضوع تنزيله ، وفائدة ترتيله ، وحكمة تدبره ، من علم ونور ، وهدى ورحمة ، وموعظة وعبرة ، وخشوع وخشية ، وسنن في العالم مطردة . فتلك غاية إنذاره وتبشيره ، ويلزمها عقلا وفطرة تقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة فانه كما قال (هدى للمتقين) الخ

(فإن قيل) ألا يصح أن يكون صاحب هذه الحواشي التي سماها تفسيراً لما سرقه من تفسير المنار من مزايا القرآن [illegible] مع ما أورده فيها من إلحاد الزنادقة وتأويل الباطنية [illegible] ؟

(قلت) لا . بل هو [illegible] مثل المنافقين الذين قال الله فيهم (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون)

فلا يجوز لمن يدين بالاسلام - أو باليهودية او النصرانية ايضاً - أن يقتني هذا المصحف المحرف لكتاب الله ، الذي يجعل اصول الايمان كفرا . فإن اقتناءه شر من اقتناء كتب الكفر والالحاد الاخرى ، ومن وافقه على ما فيه من مخالفة أصول الدين ، واتباع غير سبيل المؤمنين ، فهو مرتد عن الاسلام ، وبريء من جميع الانبياء لا يختلف في هذا عالم من علماء المسلمين ، ولا من علماء أهل الكتاب ، فانه جحد معجزات موسى وعيسى عليهما السلام ، وكون السيدة مريم العذراء وابنها آية من آيات الله بحملها به من غير أن يمسها بشر ، الخ . وسنزيد ذلك بيانا في المقال الثالث ان شاء الله تعالى

(موضوع المقال الثالث أصول دينه الجديد وهي خمسة ومقدماتها التمهيدية له وهي خمسة)

الطريقة المثلى لعمران الحجاز الاقتصادى

من الرحلة الحجازية الموسومة (بالارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف)

(للأمير شكيب أرسلان)

ان الحجاز فيه بقاع زراعية هي في الدرجة القصوى من الخصب و الزكاء، ولكن ينبغي لها المال والعلم فلا بد من بناء السدود كما كانت من القديم ومن حفر الآبار الارتوازية لاستنباط المياه، ومن الاعتماد في السواقي على الآلات الرافعة البخارية (المواتير) وهناك طريقة رأيتها في الصيف الماضي في جزيرة ميورقة وهي الدواليب الهوائية تدور بهبوب الريح فترفع الماء، وتصب إلى الصهاريج، ولا يتكلف عليها صاحبها زيتاً ولا فحما

فاذا وجد الماء وجد من الخصب والخير [illegible] في الحجاز ما لا يوجد في قطر آخر . وأما المال اللازم للمشروعات الزراعية المذكورة فله طريقان:

(احداهما) ان [illegible] الحجاز مبلغا حسنا ويفرز منها جانب واف لمصلحة الزراعة [illegible] مشروع وتقوم بإنشائه من مال الخزانة ثم تستوفي ذلك من الأهالي المنتفعين على أقساط معلومة مؤجلة إلى عدة سنوات بحسب جسامة المشروع

(والثانية) أن تتقدم لهذه الاعمال شركات اسلامية بحتة من حجازيين ونجديين ومصريين وشاميين وهنود واندونسيين وغيرهم وتعطيها حكومة الحجاز بها امتيازات الى آجال معينة ، وهذه الشركات هي التي تبني السدود وتستوفي على الري شيئاً معلوما من الزراع، او تحفر الآبار الارتوازية وتأخذ بدل العمل مع الربح الذي يكون وقع عليه الشرط، أو تقدم المواتر لاصحاب السواقي وتأخذ ثمنها منجما على عدة سنوات وما أشبه ذلك (١)

«١» وفي أخبار أم القرى ان الحكومة السعودية انتدبت أحد كبار مهندسي الامريكان لاختبار الارض وأماكن وجود المياه فيها . وانه وجد مياها غزيرة قرب وادي فاطمة من جهة جدة ، وستحفر هناك الآبار الارتوازية لاستخراجها وسقي الارض بها اهـ من حاشية الاصل

ويوجد عدا الزراعة منبع عظيم للرزق في الحجاز بل في كل جزيرة العرب هو المعادن . فان غنى الجزيرة بالمعادن موصوف معروف عند جميع الامم من قديم الدهر حتى ان المؤرخين أجمعوا على ان حضارة هذه الجزيرة الباهرة في الحقب القديمة انما قامت بامرين (أحدهما) نقل متاجر الهند والشرق الاقصى إلى الغرب بموقع العرب بين الاثنين (والثاني) ثروة المعادن التي تكتنها أرض الجزيرة

فينبغي الآن وقد مضى وقت الفتوحات وصرنا لا نطمح إلا إلى حفظ الموجود بيدنا، أن نأرز إلى الجزيرة التي هي مهد العرب المنتشرين في أقطار المعمور جميعاً ونجعلها الكهف المانع ، والاصل الجامع ، ونستخرج كل ما فيها من عيون الحياة الكامنة، حتى تصون نفسها، وتنجد أخواتها التي انبسطت عليهن أيدي الاستيلاء الاجنبي، وأصبحن لا يملكن لأنفسهن أمراً [illegible] عن هذا الرق الذي يرسفن في قيوده، وتتم بذلك الجامعة العربية التي هي [illegible] ، وأشدة آمالنا في هذه الدنيا . ويجب ان [illegible] صالح به أوله . فقد كانت معادن الجزيرة في القدم من [illegible] ثروتها وعزها وارتقائها وهي لا تزال هي هي لا ينقصها إلا الارادة والعمل

ولقد يقال ان استثمار المعادن ليس بامر سهل وانه ان انشبت الشركات الاوروبية مخالبها في هذه المعادن جنينا منها السيطرة الاجنبية ، والذل ، والندامة، فالافضل ان نكون فقراء أحراراً ولا نكون أغنياء أرقاء ... ولن نكون أرقاء وأغنياء أبداً، لان الثروة لا تجتمع مع فقد الاستقلال . وها هم أهل المغرب والجزائر وتونس عندهم من معادن الفوسفات وغيرها ما يقوم بالمليارات وليس بايديهم منه شيء حتى كأن ذلك ليس في أرضهم

كل هذا التعليل صحيح لا اعتراض عليه . وأحسن لنا ان نبقى فقراء مستقلين من ان يبتلينا الاستعمار الاجنبي بواسطة معادن نرجو في استثمارها اليسر، فيؤول بنا الامر إلى الخسر . ولكن هذا التعليل لا يحل المشكل ، ولا يجوز لامة عاقلة رشيدة أية تبغي الحياة مثلنا ان تعول في قضية ذات بال كهذه على حل سلبي

صرف ، فظن أننا قد أجبنا به ضمائرنا الناشزة ، وسكنا به خواطرنا الثائرة ، على حين انه الحل الذي يليق بالامم التي استوى عندها الماء والخشبة والتي لا تريد ان تعمل شيئا ، بل تنتظر قضاء الاستيلاء الاجنبي ان ينفذ فيها

أقول في تعليل ذلك (أولا) ان الذين يقترحون استثمار هذه المعادن الثمينة لا يشيرون باعطاء أقل شيء منها لشركة أجنبية او لشركة مؤلفة من مسلمين هم تبع لدولة أجنبية غير مسلمة ، بل يشيرون باعطاء الامتيازات لاستثمارها إلى شركات إسلامية مرجعها حكومات اسلامية ، ومما لا نزاع فيه ان الشركات التجارية في بلاد الاسلام قليلة وان رءوس الاموال قليلة أيضاً

فالمسلمون لم يتعودوا أسلوب الشركات في التجارة فضلا عن ان ثروتهم العامة لا تساعدهم على تأليف هذه الشركات الا ان البالغة في كل شيء ، مقسومة فلا يجوز ان نظن أن تأليف الشركات عند المسلمين مستحيل ولا ان المال معدوم تماما بين أيديهم ، [illegible]

وفي بلاد الاسلام شركات [illegible] كثيرة وبين المسلمين عدد غفير من ذوي الثروة ، وعدد غفير من ذوي المهارة في الامور الاقتصادية

واذا جربت حكومتا الحجاز واليمن استثمار المعادن التي في هذين القطرين على أيدي متمولين من المسلمين فلا يبدأ هؤلاء بالربح ولا يتحقق المسلمون ان هذه المشروعات ذات عوائد آكيدة حتى يقبلوا على المساهمة من كل صوب ويحدمن رءوس الاموال عند المسلمين مالا يخطر لك على بال . وذلك لان الربح جلاب ، وحيث تحقق وجود الفائدة وجد المال بلا اشكال

اذن يمكننا أن نستثمر معادن جزيرة العرب برءوس أموال أصحابها مسلمون بل أصحابها مسلمون لا تلي بلادهم دول غير مسلمة (١) وليس بضربة لازب ان

«١» إن تجار العرب في بمبي «الهند» وأكثرهم من نجد والكويت قد ألفوا شركة بواخر تمخر بين الهند وشط العرب زاحموا بها الشركات الانكليزية فزحموها ، ثم كانت الحرب العامة سبب استيلاء الانكليز عليها بصفة قانونية اه مصحح الرحلة

نستثمر هذه المناجم كلها دفعة واحدة ، بل يمكننا أن نستخرج خيراتها تدريجاً ، ولكن الذي لايجوز أصلاً هو ان نظماً والماء فوق ظهورنا ، او أن نشكو مزيد الفقر والمال تحت أرجلنا

(ثانياً) ان الظن الذي يظنه بعضنا ان الشروع باستخراج هذه المناجم يفتح أعين الاوربيين على الجزيرة لاسيما اذا رأوا الخيرات تدر منها وانهم قد يشنون الغارات على البلاد لاجل حيازة هذه المعادن هو ظن لعمري بغير محله

فان الافرنج يعرفون مواقع هذه المعادن ، ويعلمون مافيها إن لم يكن تفصيلاً فاجمالاً . وعندهم علم آخر من طبقات الارض يجعلهم عارفين بما يحتوي من المعدن والفلز كل نوع من هذه الطبقات ، فان كانوا لم يشنوا الغارات إلى اليوم على الجزيرة فليس لجهلهم بما في بطنها من الكنوز والخيرات ، بل لان الامور مرهونة باوقاتها ، والاستيلاء على جزيرة العرب او على بعض أقسام من جزيرة العرب ليس بالامر السهل ، بل دونه عقبات من وعورة الجبال ، وحرارة الرمال ، وشجاعة الرجال ، فضلاً عما بين الدول من التنافس الذي يحمل بعضهن على الوقوف بالمرصاد لبعض مما يخشى منه وقوع الحرب بينهن . وعلى كل حال فالجزيرة إلى الآن سالمة من استيلاء الاجنبي إلا بعض أطراف لابال لها

فليس من الحكمة ولا من الحزم أن نضيع على أنفسنا ثروة نحن في أشد الاحتياج اليها تحت ملاحظات ليست صحيحة وأسباب غير واردة

ومما يدلنا على كون هذه المعادن معروفة عند الافرنج رسالة بالالمانية أطلعني عليها مؤخراً مؤلفها المستشرق الالماني الشهير الاستاذ موريتز واسمها « المعادن في العربية القديمة » die bergwerke in alten arabien

جاء فيها ماملخصه :

يظن الناس إجمالاً ان جزيرة العرب هي من افقر بلاد الدنيا ، وحقيقة

الحال أنها ليست كذلك ، بل إذا نظرنا إلى ما كانت عليه في القرون الوسطى نجدها كانت ذات ثروة تضرب بها الامثال و كانت تلك الثروة آتية من منبعين (أحدهما) كون الجزيرة طريق التجارة بين الشرق والبحر المتوسط (والثاني) وفرة المعادن التي كانت فيها ، وأخصها الذهب ، فقد كانت هذه المعادن في أواسط عهد الالف سنة قبل المسيح معروفة عند العبرانيين والفينقيين والاشوريين . وقد كان سليمان بن داود أرسل بعثة على حسابه إلى البحر الاحمر ، وعادت بغنائم تدهش العقل

وذكر سترابون (جغرافي يوناني مات في زمان طيباريوس قيصر) وديودور (مؤرخ يوناني يقال له ديودور الصقلي صاحب تاريخ عظيم ، وكان معاصراً لاغسطس قيصر) انهرا في بلاد العرب كان فيها التبر

وقد كانت جزيرة العرب قبل الاسلام [illegible] في الفتوحات الثانية ذات ثروة عظيمة بزراعته والمعادن ، وكانت فيه [illegible] حكومة جمهورية ذي مراكز تجارية عظيمة ذات علاقات مع الآفاق ، وكان الاخذ والعطاء جاريين بقوة بينها وبين سائر البلدان ، وكانت فيها صناعة الحلي بالغة درجة الاتقان ، ولا يزال صاغة مكة ، وصنعاء اليمن ، وعنيزة نجد ، الى يومنا هذا مشهورين باتقان الصنعة

أماكن معدن الذهب في جزيرة العرب

فأما الاقاليم التي فيها معادن الذهب من جزيرة العرب فمنها الاقاليم الغربية والذهب يوجد فيها باسناد الجبال الواقعة بين الداخل والساحل أي أسناد الجبال المتدلية إلى التهائم . وكذلك توجد معادن ذهب في أواسط الجزيرة في الاماكن المجهولة الضاربة إلى الجنوب والشرق . وهذه الجوانب الجبلية متكونة من حجر الغرانيت مع كثير من الرخام الساقي ، وهذه الحرات التي في الجنوب

والتي تمتد إلى مكة وإلى غربيها لا شك انها تولدت تحت تأثير التحولات الجيولوجية التي أدت إلى هذه القفار المحرقة وهذه اليبوسة في الجزيرة ، وان شكل الغرانيت الصواني هذا يظهر في وسط البلاد وتمتد آثاره الى جهة الشرق اي في جبال نجد . واطرافه الجنوبية تظهر في شمالي اليمن الى أن تحاذي صنعاء من الشمال . وأما الجنوب الغربي من الجزيرة والجنوب كله فتشكلاتهما الجيولوجية مختلفة عن الاولى ، والذهب انما يوجد في الجهات التي فيها الصوان او الغرانيت وهي ما يأتي :

(أولا) في الشمال الغربي من الجزيرة بأرض مدين القديمة

(ثانياً) في ارض الحجاز الضاربة الى الجنوب

(ثالثاً) في الشرق من الجزيرة نحو نجد

(رابعاً) في [illegible]

(خامساً) في الجنوب [illegible] إلى الشمال من اليمامة

فمدين هي البلاد الواقعة بين البحر الاحمر وقمم الجبال المحاذية للبحر الممتدة من نحو العقبة في الشمال إلى وادي الحمض في الجنوب وهي اليوم تابعة للحجاز . وهناك مراكز على ساحل البحر منها (ضباء والمويلح والوجه)



فأنت ترى من هذه الرسالة المنشورة سنة ١٩١٧ أي منذ أربع عشرة سنة ان الاوربيين يعرفون ما في جزيرة العرب من المعادن ان لم يكن تفصيلا فاجمالا وانه ليس عدم سماعهم بثروتها المعدنية هو الذي ثناهم حتى اليوم عن احتلالها، بل هنالك أسباب سياسية مرجعها حفظ التوازن الدولي ، وعسكرية مرجعها صعوبة مراس أهلها

فالاولى بنا أن نغتنم هذه الفرصة ونستغل ما أمكننا من هذه المعادن لنقوي بها جيوشنا ، ونصلح إدارتنا ، ونبث العمارة في بلادنا ، وأن لا نأخذ هذه الامور بالتسويف والمطاولة حتى يصيبنا ما أصاب تركيا في مطاولاتها باستخراج الكنوز التي كانت تحت يدها إلى أن جاء الاجانب واستولوا عليها ، فقد كانت قادرة أن تستفيد من زيت الموصل من عهد طويل ، فلم تبت في أمره شيئاً، ولم تزل تماطل إلى أن أضاعت بهذه الماطلة ثروة تقوم بالمليارات الكثيرة من الجنيهات لامن الفرنكات ، وكان عندها البحر الميت فلم تصنع في استخراج ثروته شيئاً ، ولا أبدت ولا أعادت إلى أن جاء الانكليز بعد الحرب العامة فحللوا مياهه وقوموا ما يمكن أن يستخرج منه فقالوا إنه يمكن أن يستخرج منه قيمة خمسة آلاف مليار جنيه ، وعشرون ألف مليون طن من الفوسفات وهلم جرا مما تعيي العقول عن تصوره ، وليس في جزيرة العرب شيء من الخيرات التي تقوّم بهذه المليارات من الجنيهات ولكنه بدون شك فيها كثير من المعادن التي يمكن كلا من حكومة الحجاز ونجد السعودية وحكومة اليمن الامامية أن ترتفق به وتستعين به على اصلاح بلادها وتعزيز أجنادها ، وذلك على شرط أن لا تلجأ في هذا الموضوع إلا إلى رؤوس أموال أصحابها مسلمون ليسوا من تبعة الاجانب وهذا ممكن إذا أرادته هاتان الحكومتان وبدأتا بفحص فني عن هذه الاماكن حتى تعلما ماتحت أرجلهما قبل مباشرة العمل ؟

باب المراسلة والمناظرة

العلويون في أوغندة والمنار

جاءتنا هذه الرسالة مع كتاب خاص من حضرة صاحب الامضاء

من أوغندة ميالة في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٩ الموافق ٢٥ مارس سنة ١٩٣١

مجلة المنار هي المجلة الوحيدة التي انفردت دون سواها من المجلات والجرائد بخدمة دين الاسلام والمسلمين ، وصاحبها هو العالم الفذ الذي كرس كل حياته في هاته الوظيفة السامية وما انفك - أيده الله وأطال بقاءه - منذ أنشأ مجلته (المنار) وهو يكافح المبشرين تارة ، والملحدين من المجددين أخرى ، وتارة نراه شاهراً قلمه في وجوه المبتدعة من غلاة الروافض والخوارج ، والمتمشيخين من دجاجلة التصوف الكاذب ، وعبدة القبور أو معظميها . ولا يعرف قدر ما يبذله من الخدمات العمومية إلا من وجد [illegible] المنار ومصنفات صاحبه ، وأمكنه مطالعة ذلك بإمعان وتدقيق [illegible] يعرف قدر ماله من الفضل في دين الاسلام على المسلمين

امتاز صاحب المنار على أقرانه من العلماء الاعلام بخدمه الجليلة ، ومواقفه الشهيرة ، في كل موطن من مواطن الجهاد ، وناهيك بفتاويه القيمة ، وردوده المؤيدة بالحجة والبرهان (بمناره الاغر) ومباحثه العالية المفيدة وتفسيره المشهور ، ولو لم يكن له من المصنفات غيره لكفاه فخراً في الدنيا والدين ، وذخراً يوم يلقى رب العالمين

مما لا شك فيه ان الاقطار الاسلامية وغيرها لا تخلو من العلماء العظام ، والفطاحل الاعلام ، وانه قد يوجد فيهم من يداني صاحب المنار أو يوازنه في العلم ، بيد اننا نجده قد فاق الكل في الناحية العملية ، وقد وجدنا فيه كل ما فيهم من العلم والفضل ، ولم نجد فيهم بعض ما فيه من تكلفه المشاق ، وحمل ما لا يطاق ، ومواصلة الليل بالنهار بحثاً وتحقيقاً وكتابة ونشراً وتأليفاً في كل شأن له تعلق ومساس بالدين

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

حقا لقد امتاز عليهم بصفات كثيرة أهمها وأعظمها كما قدمنا آنفا : غيرته على الدين ، ويليها شجاعته الادبية وعفة نفسه ، وتواضعه مع علو قدره ، وها نحن نراه اليوم وقد انسلخ من عمره - أطاله الله - ثلاثة عقود ونصف من السنين مكافحا ومناضلا يمناوئه الاغيار عن دين الاسلام ، ولم نرَ يوما ماوضع قلمه تحت إرادة حزب معين او طائفة مخصوصة ، أو حكومة جائرة ، وهكذا دأب المخلصين من المجاهدين المؤمنين

وقد غلا وافترى من قال : انه من حين ظهور الملك ابن السعود على مسرح السياسة مازال في خدمته لأغراض مادية صرفة ، وانه (أي الملك ابن السعود) يبذل له من المال كذا وكذا عوضاً عن خدمته (سبحانك هذا بهتان عظيم)

اننا ننزه الاثنين من ان يتواطآ على مثل هاته الفعلة ، وحاشاهما من ذلك ، وقد أراد المفترى بقوله هذا أن يذم فمدح ، وأن يفضح فافتضح ، وما على صاحب المنار من غضاضة أو عار اذا أيده الملك ابن السعود ، فتأييده اياه هو - والحقيقة لـ في نظر المنصفين من المسلمين عين الخطة التي رسمها صاحب المنار لنفسه ، وهي نصرة دين الاسلام [illegible] ابن السعود [illegible] أنصار هذا الدين نصره الله وأيده ، [illegible] الملك الحسين بن علي حيث كان يؤمل فيه المصلحة العامة للاسلام والمسلمين حتى بان له غلطه وتعنده في ذلك وبذل له النصح

« ولم يتبين الرشد إلا ضحى الغد »

وهكذا نراه اليوم قائما بجانب الملك ابن السعود فاذا حاد لا سمح الله عن النهج القويم والطريقة المثلى فبلا شك انه (أي صاحب المنار) لا يذره وشأنه ، بل يعرفه بخطئه ، ويفعل معه مثل مافعل مع الملك الحسين بن علي (*)

(*) المنار : تالله لقد أصاب هذا الكاتب العلوي كبد الحق فيما رمى اليه من أوعدة على بعده عن مراكز السياسة فنحن كنا ننصح للملك عبد العزيز بن السعود من رحمه الله قبل الاستيلاء على الحجاز بالاخلاص الذي كنا ننصح به للملك حسين بن علي ، والفضل الذي نراه لهذا على ذاك انه يشكر لنا نصحنا ويعدنا بالاصلاح الذي نقترحه عليه بقدر الامكان ونحن لوعده منتظرون ، مع علمنا بأنه يعوزه الرجال العاملون ، والملك حسين لم يحتمل كلمة واحدة في انتقادرجاله بل عاقبنا عليها بمنع دخول المنار من الحجاز الذي كان يسميه المملكة الهاشمية

هاته هي عقيدتنا وعقيدة السواد الاعظم من المسلمين في شرق الارض وغربها (في صاحب المنار) ولا عبرة بمن يشذ من المنافقين والملحدين والدجالين المتاجرين بالدين ، والمضللين لطغام المسلمين

وليثق صاحب المنار أننا ـ عرب هذا القطر (أوغندة) وأهاليه ـ من اخوانه المؤمنين ، وأنصاره المخلصين ، الذين يقدرونه قدره ، ويوفونه حقه من الاجلال والا كبار والاحترام ، ومن المقتفين أثره في العقيدة ، وهديه في الدين ، بيد أننا معشر العلويين المقيمين بهذا القطر لانرى بأساً إذا شكوناه (أي صاحب المنار) إلى نفسه بسبب الرسالة التي بعث بها اليه من جاوة أخونا في الدين عبد السميع منصور الجاوي ونشرها في المنار في الجزء الثامن من المجلد السابع والعشرين في صحيفة ٦٠٤ وجاء فيها ما نال منا بكرامتنا وشرفنا وعقيدتنا ، والمنار كما يعلمه الخاص والعام قد انتشر في أنحاء المعمور انتشاراً هائلا ونال صاحبه ثقة الجمهور لاسيما فيما له تعلق بالدين ، فهو فيه امام الائمة ، وخادم المقام ، ويقرأه العالم والجاهل والمطلع على أحوال العلويين وغير المطلع [illegible] لها (أي الرسالة) كقضية مسلمة ، وحجة ثابتة [illegible] بما يجري هناك (بجاوة) بين بعض إخوانهم العلويين والارشاديين من سفاسف الاقوال والافعال

أننا معشر العلويين المقيمين هنا بافريقية الشرقية ـ اسوة لسائر إخواننا بكل قطر ومصر ـ ننكر ونستهجن ككل ذي وجدان حي ما يبلغنا من حين إلى آخر من التشاجر والتناحر والتنابز بالالقاب ، والطعن في الانساب ، ومن كل فعل شائن بين الطائفتين بجاوة أو غيرها ، كما أننا نبرأ إلى الله ككل ذي عاطفة دينية وغيرة عربية ، مما ينشره أصحاب المقاصد والاغراض في جريدة حضرموت أو غيرها من الجرائد في حق الملك ابن السعود من الكلام الذي نرى فيه عدوانا صريحا او تلميحا في حقه

ان كثيراً من ضعفاء النفوس وأرباب الاغراض السافلة ينشرون ويذيعون أخباراً عارية عن الصحة يفهم منها ان العلويين غير راضين عن الملك ابن السعود وسلطانه ، وانهم ناقمون عليه ويناصبونه العداء لانه على غير مذهبهم ، ومشربه

غير مشربهم ، إلى غير ذلك من لغو القول وهذره ، ليدخلوا على أنفسهم الضعيفة شيئاً من السرور وليحطوا ـ بظنهم ـ من قدر العلويين شيئاً وأنى لهم ذلك ؟

أنفق بطانك بأجرير فانما   منتك نفسك في الخلاء محالا

والعلويون أجل قدراً من كل مايتوهمه هؤلاء المساعير ، ومابينهم وبين الملك ابن السعود غير السلام والوئام والاحترام ، التي ظهرت آثارها من جانب الملك ابن السعود في حق من وصل إلى مكة من أعيان العلويين ووجهائهم ، فقد لقوا من جلالته (أيده الله) فوق مايتوقعونه من الاجلال والاكبار، حتى انهم رجعوا إلى أوطانهم وألسنتهم رطبة بحمده وشكره والثناء عليه ، لما شاهدوه هناك من صنوف الحفاوة بهم وبغيرهم من الناس ، والعدل والامان ، ووسائل الراحة لسائر الرعية ، أفبعد ذلك يأتي (هماز مشاء بنميم) ويقول عن العلويين غير ماهم متصفين به ؟ (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

ان علماء العلويين وأعيانهم والسواد الاعظم منهم قد رسموا لأنفسهم خطة الحياد في كل أمر [illegible] العواطف الدينية بينهم وبين اخوانهم [illegible] فرأوها مسألة هزلية صرفا أوجدها أصحاب المقاصد والاغراض والمطامع الاشعبية ليصطادوا في الماء العكر فمشوا مدارج العوام من الحضارمة فاتبعوهم وهم لايعلمون عن المسألة قتيلا ولا نقيرا

ومن فهم منهم شيئاً حببوا اليه الظهور الكاذب ، والفخر الزيف ، فيفخر بهذا ويتوهم انه قد حاز علوم الاولين والآخرين

أوردها سعد وسعد مشتمل   ما هكذا ياسعد تورد الابل

وربما يعترضني معترض ويقول لي : فكيف بك وقد ألزمت نفسك أنت وغيرك من اخوانك في البلدين في هذه المسألة خطة (الحياد) ثم نراك تأتي اليوم وتبحث المسألة من جديد ؟

فأقول له : إن ظهور هاته المسألة هو من نحو عشرين عاماً تقريباً ولم أبس فيها أنا ولا غيري ببنت شفة ، حتى ظهرت لنا رسالة أخينا عبد السميع منصور الجاوي ونشرت في أعز مجلة علينا (المنار) فعظم علينا ذلك وعلمنا ان الحالة

غير مرضية ، وانها قد دخلت في طور جديد بدخول بعض اخواننا الجاويين ، جئنا بكلمتنا هاته إلى المنار على سبيل الشكاية منه واليه ، والنصح لاخواننا الكرام الجاويين

انا ننصح لأخينا في الدين عبد السميع منصور ، إن كان هناك شخص يدعى بهذا الاسم خصوصا ولاخواننا الجاويين عموما ، فنقول لهم : مالكم وللدخول في هاته المسألة المشئومة التي تشتت بسببها شمل الحضارمة هناك ، وأضحوا شذر مذر ، لا يوقر كبير لكبيره ، ولا يرحم صغير لصغره ، في زمن وعمل هم أحوج الخلق فيهما إلى التعاون والتعاضد تبعاً لأوامر دينهم القويم ، ورسولهم الكريم ، ولما تقتضيه الظروف الزمانية ، والمنطق الصحيح لو كانوا يعقلون

أيها الاخوان الكرام : خلوا الحضارمة وشأنهم ماداموا يمثلون هاته المأساة المحزنة والرواية الهزلية ، واسمعوا ما اشرح [illegible] الاشهر ، وزعيمهم الاكبر ، السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله [illegible] الشورى الغراء بالعدد المؤرخ ١٤ شوال من دور [illegible] الثالثة التي هي أحرى [illegible] وأولى أن تكتبوها على صفحات قلوبكم [illegible] وتضعوها في أعز [illegible] فيه نفائس أموالكم كذخيرة لاحفادكم

أيها الاخوان الكرام : إن دخولكم في هاته المسألة يزيدها إعضالا وتعقداً وتتسع دائرة الشقاق بين الفريقين ، وتدخل في طور جديد من التكيف والتلون وبه يجد المتعصب القاعد لكم بالمرصاد مدخلا بين صفوفكم فيثبت قدمه (بأندونسية) الفتية التي تتجاوز اليوم عقبات كأداء لاستقلالها المطلوب ، بلغها الله إياه

أيها الاخوان الكرام : اننا والله لانخاف ضيراً عليكم ولا دلي وطنكم المحبب الينا واليكم ، مازالت المسألة مقتصرة على من أوجدوها من الحضارمة لأنهم أقلية وصوتها غير مسموع ، لكننا نخشى ونخاف دخولكم فيها ، فيتفاقم الامر وتندمون ولات ساعة مندم

ياعبد السميع هاته نصيحتنا لك ولقومك الكرام فان تلقيتموها بالقبول — ومثلكم من يفعل — كنا لكم من الشاكرين الحامدين ، وإن أبيتم قبولها (وهو

مالا نرضاه) ولكن قد يستفيد الفئة المتنصح ـ فنقول لك ولاخوانك إن عقلاء العلويين وذوي الفضل والسواد الاعظم منهم لاقدرة لهم على النزول إلى الميدان الذي تدعونهم اليه ، لعلمهم ان الغالب فيه أظلم من المغلوب كما جاء في الحديث ، ولعلمهم أيضا أن السب والشتم والمهاترة في الاعراض ، والشاجرة في الانساب، هي أسلحة لا يحملها إلا كل وغد جبان ، قد قصر باعه في العلم فضعف مزاجه في الدين ، وخارت عزيمته في العمل ، وانه من سقط المتاع

ياعبد السميع : لو أنه تكلم غيرك من العرب الارشاديين أو غيرهم بما تكلمت به على العلويين في رسائلك لكان الامر في غاية السهولة والبساطة ، ولكان جوابه من كل علوي فاضل السكوت الدال على الاهمال ، لأنه قد سمع منهم ماهو أعظم من ذلك

ياعبد السميع :إن العلويين في شرق الارض وغربها يعيشون مع اخوانهم في الدين والانسانية على اختلاف مشاربهم في سلام ووئام واحترام وإخاء اسلامي وانساني في كل شأن من الشئون الدينية والدنيوية ، وإنهم مازالوا ولن يزالوا إن شاء الله سائرين على الخطة التي رسموها لأنفسهم من خدمة الاسلام والمسلمين، والقيام بالشعائر الدينية بمعاونة أولي الفضل منهم والسعة ، ونشر الدعوة المحمدية بكل قطر ومصر ، والصبر واحتمال كل مايصل اليهم من أذى ، والمرور على لغو القول وهذره مر الكرام

ياعبد السميع :ان المعتقدات التي ذكرتها برسائلك ونسبتها اليوم الى زنوج الكنغو (أو اوقنده هنا) اكذبك الحس وشواهد الحال ، فكيف بك وقد نسبتها اليوم ـ إرضاء لاخوانك الارشاديين وتزلفا لديهم ـ الى آل الرسول وأبناء البتول، الذين تلقيت انت وأجدادك الكرام رحمهم الله تعاليم دينكم القويم وعقائده الصحيحة عنهم؟ أفيحسن بك بعد هذا أن تأتي اليوم وتنسب اليهم ماهم برآء منه ومما تعملون ؟

يا عبد السميع : اننا نقول لك ولغيرك من المفترين علينا ـ غير ما سبب نعلمه ،غير مفتخرين عليكم ولكن نعمة الله نتحدث بها : ان للعلويين الذين بدأت

أنت دون سواك من الجاويين بالحط من شأنهم لهم على سكان أهالي الهند الهولندية وافريقية الشرقية من الفضل ، بقدر مالهم عند الله من الاجر ، فان أنكر جاحد او غضب غاضب ، قلنا له :

يا مرسل الريح جنوبا وصبا ان غضبت قيس فزدها غضبا

ياعبد السميع : ان ما ذكرت برسالتك من العقائد الفاسدة ، والخرافات البادرة ، فانه غير ممكن قبوله اليوم ولا بعد اليوم . وقد تنورت العقول وتفتقت الاذهان ، وتفتحت العيون ، وبان الصبح لذي عينين . وان ما أمكن وقوعه في القرن الثاني عشر لايمكن وقوعه اليوم وقد انتشر المنار الاغر في أنحاء المعمورة ، وتغلغل في خلال الاقطار الاسلامية ، فجلا الابصار والبصائر من الاوهام والخرافات

ياعبد السميع : اننا اصبحنا في عصر لانخاف فيه من تعظيم علي او غيره تعظيم ربوبية ، فان الناس قد انقلب معظمهم الى تفرنج وزندقة وإلحاد ، وسقطت كرامة الصالحين من نفوسهم وتجردوا [illegible] فضلا عن الغلو في الصالحين بل اننا نشكو اليوم من أقوام [illegible] مقام النبوة ويحطون من قدرها . وغلا آخرون ومالوا إلى التعطيل والالحاد وهذا [illegible] الفقهاء تراما اليوم بعصر يقاسي منهم عرق القربة وقد ثبت لهم في الميدان حتى أرجعهم مدحورين مذءومين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

الشريف صالح نور العلوي الحضري

(المنار) نشرنا هذه الرسالة برمتها بعد اقفالنا لباب هذه المسألة وذيولها لما آنسناه فيها من الاخلاص في النية والاعتدال في الرأي والوقوف على الحقائق الاشدة النكير على عبد السميع الجاوى الذي يشك في وجوده فقد اتهمه بانه يعني بما كتبه جميع العلويين في الدنيا وهذا غير معقول

وقد جاءتنا رسائل أخرى من جاوة وغيرها تؤيد رأي الشيخ عبد السميع فلم ننشر منها شيئا لانها تذكي نار الشقاق ونحن نود اطفاءها ، ويجيئنا رسائل أخرى من جزائر أندونسيا وغيرها يشكو فيها دعاة الاصلاح ومقاومو الخرافات من بعض العلويين المقاومين للاصلاح وانهم يطعنون على المنار لدعوته الى التمسك

بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح واجتناب البدع والخرافات التي يعيشون بها ، وهم الذين يذيعون ان صاحب المنار خصم للعلويين وهم يعلمون انه علوي حسيني الاب حسني الام ، وجميع أهل السنة والجماعة من العلويين وغيرهم أنصار له ، ويوجد في الشيعة المعتدلين منهم ومن غيرهم من يعترف له بأنه قد سعى أفضل السعي لخير خطة ترفع قدر العلويين ، وتجاليم الائمة الوارثين ، وزعماء الاسلام في مصالح الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

وقد أتهمنا بعض الخائضين في مسألة التنازع والتخاصم بين العلويين والارشاديين بأننا نصرنا الفريق الثاني وهي تهمة باطلة لا ادري سببها . وقد كنت انا الواضع الاول للكتاب الذي نشرته جمعية الرابطة الشرقية للاصلاح بينهما وان أبغض شيء الينا بعد الكفر والنفاق في الدين جريمة التنازع والتفرق بين المسلمين ،

وقد عزز صاحب الرسالة ما كتبه فيها بكتاب خاص لنا فيه فوائد عن مسلمي اوغندة يسر بعضها ويسوء بعض

ومما قاله في كتابه بعد تأكيد الاحتجاج علينا بنشر الرسالة لاسباب ثلاثة نعلم من غضونها الاستطراد الآتي :

﴿ استطراد الى صاحب الفضيلة ﴾

حالة العرب والهنود من المسلمين غير مرضية هنا ولاسيما من الجهة الدينية . الاسباب ليس هنا محل شرحها ولكن مما يبعث على الارتياح الكثير حالة الاهالي فانهم والحق يقال راغبون كثيرا في الدخول الى دين الاسلام ، وقد كفونا مؤنة التبشير إذ قام بعضهم يدعو البعض الآخر الى الدخول في دين الاسلام

والمبشرون (بالنصرانية) بهذا القطر كل يوم في ازدياد وناهيك بنفوذ سلطانهم وكثرة أموالهم الواردة عليهم من كل الجهات غير انهم مع كثرتهم وقوة تشكيمتهم ما فازوا بأكثر مما فاز به الاسلام ، بل انه قد فاقهم في كثير من المواضع لاسيما الاماكن التي يقطنها العرب ، فالاسلام في انتشار عظيم فيها كمثل (كبلا) عاصمة الاوغندة (وجنجة) ومبالة ونواحيهن .

وقد بدأت الكراهة تظهر من الاهالي للاوربيين لاسباب كثيرة ، أهمها

أنهم أي الاهالي فهموا روح الدين الحق وأحسوا بكابوس الظلم الملقي عليهم من المستعمرين وهو مما يستفيد منه المسلمون .

وهنا أطلب من فضيلتكم ارسال ثلاث نسخ من كتابكم اللطيف الذي صنفتموه وغاب عن ذهني الآن اسمه (لاني بمحل غير الذي أنا مقيم فيه) في حقيقة الدين الاسلامي وتعاليمه وهو كما ذكرتم في الاعلان عنه مختصر ومفيد (يعني خلاصة السيرة المحمدية ...) وهذا الكتاب قصدنا أن نترجمه الى اللغة السواحلية لانها هي المنتشرة هنا ونكتبه بحروف افرنجية لان الكتابة العربية غير منتشرة ولا يعرفها من الاهالي غير آحاد لايعتد بهم ، والفائدة من ترجمته بالسواحلية وكتابته بالاحرف الافرنجية هو اطلاع الاهالي المسيحيين على حقيقة روح الاسلام وتعاليمه لان المبشرين هنا لاهم لهم إلا الحط من شأن هذا الدين الكريم وتشويه سمعته في نظر الاهالي ، ولما جاء هذا الكتاب وترجم الى اللغة السواحلية وكتب بحروف افرنجية واطلع عليه الاهالي فلاشك انه يكون هنا نكبة كبرى على المبشرين [illegible] ويهزمون شر هزيمة لان الاهالي [illegible] بعضهم مع بعض من جهة الديانة ، ويرون ان كل شخص منهم حق الطفل له الحرية التامة في اختيار أي دين كان ، وقد تجد الاسرة المؤلفة من اشخاص مثل الاب وأولاده مثلا مختلفي الدين فتجده هو على دين أجداده ، وأولاده منهم مسلم ، ومنهم مسيحي ، والمسيحيون هنا ينقسمون الى قسمين : بروتستانت و كاثوليك ، وهكذا تجدهم لايعيرون احداً ولا يعيبونه . ثم المسلمة هنا لاتتزوج المسيحي ، وفي وقت الاعياد تجد كلا منهم يحتفل بعيد الثاني وخصوصاً اعياد المسلمين ، فيجتمع يوم العيد جمع غفير هناك ويدخل في الاسلام عدد كثير (أي في يوم العيد)

لهذا نرجو من ترجمة الكتاب وطبعه فائدة تذكر ان شاء الله ، والباري يحرسكم ، والسلام على المنار وصاحبه وأهل إدارته من المخلص

صالح زيد بك خور العلوي الحضرمي

بيان عن سياسة الابادة والاستئصال

التي اتبعتها ايطاليا في طرابلس الغرب

(ألقي في اجتماع عظيم في نادي جمعية الشبان المسلمين ووقع عليه أهل الرأي والمكانة في مصر ليرسل الى جمعية الامم ويذاع في العالم الاسلامي):

لقد شهدت مصر مشهداً لا تستطيع الانسانية أن تعرض عنه متجاهلة ما انطوى عليه من الآلام ، وذلك أن مئات من بني الانسان - بين رجال ونساء وأطفال وشيوخ - اضطروا تحت ضغط الجور الى أن يتركوا أوطانهم تخلصاً من الظلم ، وأن يهيموا على وجوههم في القفار ، ولولا مروءة مأمور الواحات المصري الذي خرج هو ورجاله للبحث عنهم حتى اتيهم وأنقذهم لهلكوا عطشا وجوعا

أولئك هم فريق من اخواننا الطرابلسيين الذين خرجوا من قسوة الحكم الايطالي الذي لا يطاق

ولم تكد أعيننا تكفكف الدموع على هذا المشهد الذي شهدته على اليابسة حتى حملت الينا أمواج البحر في السلوم مشهداً آخر أفظع من هذا وأشنع ، فرمى البحر الى هذا الساحل المصري أربع عشرة جثة من جثث هؤلاء الطرابلسيين مغلولة في سلسلة واحدة

ثم توالت الاخبار بأن زاوية الكفرة المنقطع أهلها للعبادة قد أمطرتها طيارات الايطاليين بالقنابل وفتكت بأهلها فتكا ذريعا ، وبعد ذلك هاجمها الجيش وكاد يأتي على البقية الباقية من أهلها ولم يتعفف عن هتك الاعراض وسلب الاموال وبقر بطون الحوامل ، وقد قتل من أهل الكفرة في هذه النازلة كثيرون منهم الشيخ أبوشنة وابن أخيه الشيخ عمر والشيخ حامد الهامة والشيخ عبد السلام أبوسريويل والشيخ محمد المنشوف وابن أخيه علي بن حسين والشيخ محمد العربي والشيخ محمد أبو سجادة والشيخ احمد القاندى الجلولي والشيخ خليفة الدلاية

ولما ذهب كبار شيوخ زاوية الكفرة الى القائد الكبير يرجونه وضع حد لهذه المذابح أمر بذبحهم فذبحوا أمامه كما تذبح الشياه

ومن الفظائع التي ارتكبها الايطاليون في برقة، ونقلها الرواة الصادقون انهم وضعوا أحد مشايخ عائلة الفوائد المدعو الشيخ سعد وخمسة عشر شخصاً من العرب في الطيارات وارتفعوا بهم عن سطح الارض ثم جعلوا يلقونهم واحداً بعد الآخر ليموتوا موتة لم يسبق لها مثيل

ومن الفظائع التي ارتكبوها في الجبل الاخضر اخراج أهله منه وهم لا يقل عددهم عن ثمانين الف عربي الى بادية سرت القاحلة، ثم أذاعوا بواسطة قنصلياتهم في بلاد الارجنتين أن حكومة طرابلس وبرقة تعطي الاراضي الخصبة فيهما لكل ايطالي يريد النقلة اليهما، وبلغت مساحة الاراضي التي أخذت غصباً نحو من مائتي ألف هكتار ولا تزال الحكومة الايطالية تحث الايطاليين على استعمار هذه الاراضي

وقبل انتزاع أراضي الجبل الاخضر من اهله في هذه السنة انتزعت في سنة ١٩٢٤ مامساحته ٤٢٠ ألف هكتار بدون مقابل، وفي بعض الاحيان كان المقابل عن المائة هكتار ستة آلاف فرنك ايطالي ـ أي خمسين جنيهاً تقريبا

وقد خرج أهالي الجبل الاخضر بعد اخراجهم منه وهم لا يملكون مايقتاتون به فرتبوا لكل عائلة فرنكين في اليوم وهم الآن يعيشون بهذا المرتب عيشة بؤس تفتت الاكباد، وفي أثناء نقلهم الى صحراء سرت كان كلما عجز واحد منهم عن مواصلة المشي يرمى بالرصاص

وفضلا عن كل ذلك فقد جمع الايطاليون الاطفال الوطنيين من سن ٣ إلى سن ١٤ وأخذوهم من أهلهم وأرسلوهم الى إيطاليا بزعم تعليمهم فيها وجمعوا الشبان من سن ١٥ إلى ٤٠ وألحقوهم بالجيش واستخدموهم في محاربة أهلهم وبلادهم

وبلغ الاستهتار بالشعور الاسلامي مبلغا عظيما من ارساليات التبشير المنبثة الآن بين الاهالي ومن صدور الاوامر المشددة على الخطباء في الجوامع بالدعاء لملك إيطاليا على المنابر

وقد حدث مراراً أن الحكومة تعلن العفو والامان، فاذا وقع المعفو عنهم في قبضتها غدرت بهم. وممن ذهبوا ضحية هذا الغدر من رؤساء القبائل خليفة ابن عسكر والشيخ عبيدة الصرماني وأحمد الباشا وابراهيم بن عباد والهادي كبار

وابنه محمد كبار والشيخ أحمد الحجاوي والشيخ علي الشوع والشيخ عبدالسلام ابن عامر والشيخ محمد الفريكي والشيخ شرف الدين العمامي والشيخ أحمدبن حسن ابن المنتصر والشيخ عمر الموزاني والشيخ محمد عبد العال ؛ ومن الضحايا الذين لايعرف لهم ذنب: الشيخ صالح العوامي وهو شيخ يبلغ التسعين عاما من أهل العلم والصلاح قبضت عليه إيطاليا سنة ١٩٢٣ وزجته في سجن بنغازي إلى أن مات فدفن بمحل مجهول

فأرواح هؤلاء الضحايا تصيح بالانسانية جميعها وبجمعية الامم بنوع خاص أن هلمي إلى انقاذ البقية الباقية من أبناء الانسانية المعذبة في هذه الربوع من سياسة الفتك والاستئصال والابادة التي تتبعها إيطاليا في طرابلس المنكودة

وأن العالم الاسلامي يعتبر ماوقع ويقع في طرابلس الغرب عدوانا مباشراً على كل مسلم معا كان جنسه ووطنه ؛ وسيبقى عار هذه الاعمال لاحقا بالانسانية كلها حتى تهب الهيئات الرسمية — ولا سيما عصبة الامم — لاجراء تحقيق دولي حر دقيق [illegible] واعلان نتيجته كما تقتضيه العدالة والحق

والموقعون على هذا يطلبون من جمعية الامم اجراء هذا التحقيق تنزيهاً للانسانية عن لحوق هذا العار بها الى الابد ويرجون بالحاح أن يكون لهم مندوب يختارونه مع لجنة التحقيق ، وهم ينتظرون ما تقرره العصبة في هذا الشأن بفارغ الصبر

التوقيعات

محمد أبوالوفا	خليل الخالدي	محمد رشيد رضا
الشرقاوي	رئيس الاستئناف الشرعي بفلسطين	منشيء مجلة المنار الاسلامية
محمد عبد اللطيف دراز	محمد عبد الرحمن قراعة	عبد الوهاب النجار
من العلماء وعضو مجلس ادارة جمعية الشبان بالقاهرة	من العلماء ومدرس بالازهر الشريف	وكيل جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة
محمد كامل القصاب	محمد تقي الدين الهلالي	علي سرور الزنكلوني
	الاستاذ الاول للاداب العربية بندوة العلماء بالهند	المدرس بقسم التخصص بالازهر

الامير عمر طوسن — فؤاد سليم الحجازي، سفير الدولة العثمانية بسويسرة سابقاً — علي جلال، المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً

عبد الحميد سعيد، الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين — حسين شيرين، رئيس جمعية الشبان المسلمين بالاسكندرية — عبد العزيز صدقي، وكيل مدير سابقاً

حافظ موسى الكاشي، عضو مجلس النواب سابقاً — محمود السيد، محام وعضو مجلس النواب سابقاً — مصطفى الشربيني، محام وعضو مجلس النواب سابقاً

الدكتور يحيى أحمد الدرديري، المراقب العام لجمعية الشبان المسلمين — محمود علي فضلي، عضو مجلس ادارة الشبان المسلمين — طنطاوي جوهر، مدرس سابقاً ومؤلف

أحمد حافظ عوض، صاحب جريدة كوكب الشرق — محب الدين الخطيب، منشئ مجلة الزهراء وجريدة الفتح — محمد أحمد الغمراوي، كاتم سر جمعية الشبان بالقاهرة

محمد الناغي، عضو ادارة الشبان المسلمين — ابراهيم [illegible] الجرادي، [illegible] — محمد أحمد الجناوي، محرر جريدة الفلاح المصري

الدكتور محمد علي، من أطباء مديرية الغربية — الدكتور [illegible]، من أطباء القاهرة — الدكتور عبد اللطيف فاضل، من أطباء القاهرة

الدكتور حسن أبو السعود، من أطباء القاهرة — محمد أحمد الفقي، من العلماء — محمود شلتوت، من علماء الأزهر — عبد ربه مفتاح، من علماء الاسلام

محمد الهياوي، صحفي — أحمد مختار، مهندس — أحمد عبد الحميد، مهندس — محمد عثمان، مهندس

عبد العزيز عثمان، مهندس — محمد عفت، مهندس — عبد الرزاق البيلي، مهندس

(ويلي هذا مئات من الامضاءات في مصر وفي اقطار أخرى نشرتها كلها مجلة الشبان المسلمين في القاهرة)

الشريف الحسين ملك الحجاز السابق

وفاته — والعبرة من ترجمته

في يوم الخميس الثامن أو التاسع عشر من المحرم توفي الشريف حسين بن علي آخر من تولى إمارة مكة للدولة العثمانية وأول من سمي ملك الحجاز بعد الانقلاب العام الذي أحدثه حرب المدنية الكبرى . توفي في عمان فنقل منها إلى القدس ودفن في جوار المسجد الأقصى بالقرب من مدفن محمد علي الزعيم الهندي وقد احتفل بدفنه احتفال عظيم اشتركت فيه الحكومة الانكليزية رسمياً . فنعزي أنجاله أصحاب الجلالة والسمو ونسأل الله تعالى له المغفرة والرحمة التي وسعت كل شيء.

كان الملك حسين ذا مواهب فطرية ووراثية عظيمة، صار بها من رجال التاريخ العام وتاريخ العرب الخاص . كان شجاعا حازما قوي الارادة ، ماضي العزيمة ، كبير الهمة ، نزيه النفس ، شديد البأس ، عفيفا عن الشهوات ، عزوفا عن الدنايا ، محافظا على الفرائض الدينية [illegible] ، على عظمة وكبرياء وشمم وإباء ، ولكن معارفه الدينية والدنيوية ضعيفة والعقيدة مبنية على تقليد التقاليد من الآباء والمعاشرين وخبرته ضعيفة مستمدة من أهل الملق والرياء في مكة ، وأولي التقية والعبودية الحميدية في الآستانة ، فلهذا لم يكن ينال الزلفى عنده إلا المراءون المخادعون ، وكان شديد الاعتداد بنفسه ، والاعجاب برأيه ، والثقة بعلمه ، والظنة والريبة في كل من يتصل به ، والاصرار على رأيه ، وإن فرض انه ظهر له خطؤه فيه حتى كان بعض خاصته يقول : لولا عناد سيدنا لكان كل ما ينتقد عليه سواه هيناً لايخشى ضرره، ولم يكن أحد من عماله ولا من أولاده يتجرأ على النطق أمامه بما يخالف رأيه ـ وهذا خلق يقطع على المتخلق به طرق العلم والاستفادة التي لا يستغني عنها بشر مهما تكن درجة عقله ، وسعة علمه ودقة خبره . وقد قال الله تعالى لرسوله خاتم النبيين وسيد ولد آدم (وقل رب زدني علماً) وقال الامام الشافعي :

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي
وإذا ما ازددت علما زادني علماً بجهلي

وان في هذين البيتين لحكمة لايسمو اليها الا أرقى الناس عقلا وأوسعهم علما

وكان رحمه الله تعالى يكره دولة الترك ويتألم من سيادتهم على الحجاز، والظاهر ان بعض رجال الترك في الاستانة كانوا يشعرون بذلك منه ويحسبون كل حساب لامارته على الحجاز في عهد الدستور، وفي هذا دليل على انه أعز من غيره من شرفاء مكة نفساً وأعلى همة وأبعد مرمى، وكان نجله الشريف عبد الله أشد منه بغضاً للترك وميلا للاستعداد للخروج عليهم ونبذ سلطانهم، ولكن نجله الشريف فيصلا كان الى الترك أميل، وعلى الاتفاق معهم أحرص، كما أخبرني بذلك في بيروت والشام بعد الحرب

ولما أسسنا جمعية الجامعة العربية كاشفت بخبرها الشريف عبد الله في نزالته لدى الخديو من قصر عابدين وكان عائداً من الاستانة الى مكة هو وأخوه الشريف فيصل، ولم أقابل فيصلا ثم، وقد نظمت عبد الله في سلك الجمعية وحلفته بينها اليمين المغموس حلفه، وأخبرني أنه موفد لاقناع والده بقتال السيد الادريسي لاستقلاله في العسير دون الدولة انتصاراً لها، فقلت له: إياكم أن تسفكوا دماء العرب بسيوف العرب ... فوعدني بأن سيبلغ والده ما أمره به ويجتهد في اقناعه بأن لا يقاتل الادريسي، وأن يعني بالاتفاق معه ولو في [illegible] جمعية الجامعة العربية

ولكن والده قاتل السيد الادريسي [illegible] وطمعاً في ضم بلاده الى الحجاز لا حباً في الترك وانتصاراً لهم، فقهره الادريسي ورده خائباً منكسراً

ولما اشتعلت نار الحرب الكبرى وانضمت الدولة العثمانية فيها الى الحلف الالماني كان من سياسة الانكليز فيها ان يستميلوا الامة العربية إلى الانضواء اليهم وإلى حلفهم، والخروج على الدولة العثمانية ووعدوهم بأن يكون جزاؤهم على ذلك: الاستقلال وتأسيس دولة عربية جديدة تحيي حضارة العرب الزاهية، ولعلي قد كنت أول من أرادوا أن يستخدموه لبث الدعاية لهم في جزيرة العرب وفي الولايات العربية العثمانية، وكلفوني إرسال مندوبين من قبلي الى أمراء الجزيرة وجمعيات العرب السياسية في الولايات بذلك

ولما كنت اعلم من سياسة الانكليز انهم كالسيل يقذف جلموداً بجلمود، ويقاتلون الامم والشعوب بعضها ببعض ثم يستأثرون هم بالغنيمة، اشترطت عليهم أن تقرر دولتهم بالاتفاق مع حلفائهم الاعتراف باستقلال الامة العربية في جميع

بلادها معرفة بحدودها الطبيعية — استقلالا مطلقا من كل شرط وقيد الخ ولم تنته المراجعات بيني وبين رجالهم هنا في ذلك الا وقد أيقنت انهم مخادعون ، وانهم إذا انتصروا جعلوا البلاد العربية غنيمة لهم ولحليفتهم فرنسة ، ولهذه المناقشات قصة طويلة وفيها وثائق مكتوبة ليس هذا محل بيانها

كنت قررت أن ارسل أخي المرحوم السيد صالح إلى الحجاز للكلام مع الشريف حسين في هذه المسألة وقرر الانكليز أن يرسلوه من طريق السودان لحالت العوائق دون إرساله حتى زال من انفسهم ما كانوا يرجونه مني ، ووجدوا واسطة أخرى لمخاطبته وإقناعه بالخروج على الدولة العثمانية ، وإعلان الانضمام اليهم ، وكانت فظائع جمال باشا السفاح التركي في سورية قد آيأست أهلها من إمكان البقاء تحت سيادة الترك وبثوا شكواهم إلى الشريف حسين وأظهروا ميلهم إلى الخروج على الدولة ، فأعلن الثورة العربية ولكنه [illegible] أحدا من حاشيته ولا من بطانته ولا من أولاده على الاساس الذي بناها عليه [illegible] الذين أغروه بها من الانكليز لانه لا يثق بأحد

لا ينكر عاقل [illegible] السياسة ، كما لا يخفى على عاقل أن من لا يثق [illegible] ولاسيما الاعمال السياسية والانقلابات القومية ، وتأسيس الدول والممالك — وان شدة الحذر تفضي إلى التردي في شر مما يخافه الحذر من ناحية ضعف الثقة بالعاملين ، فانه يضطر إلى الاعتماد في أعماله على صغار النفوس المتملقين الذين يرضون أن يكونوا كالآلات المعدنية والادوات الخشبية في يده لاجل منافعهم الشخصية منه أو من الاجانب الذين يدسون له من جواسيسهم من يوافقونه على هواه في كل شيء ، لينقلوا لهم عنه كل ما يعلمون من أعماله وأحواله

وإن أغرب ما أنكرناه من أموره المتناقضة انه على عدم ثقته بأحد من أمته ولا من اولاده قد وضع ثقته كلها في الانكليز المشهورين في العالم كله بالخداع والمكر والعبث بالرجال العظماء والدول والامم — وثق بهم ثقة عمياء صماء بكماء وبلهاء ، معتقداً انهم أعلى البشر أو فوق البشر في الصدق والوفاء ، بل كان يعتقد أنهم سيمنحونه كل مايؤمله ويتمناه ، لا ماوعدوه به خداعا وتغريراً ولا ما اقترحه عليهم مما سماه مقررات النهضة فقط (للترجمة بقية)